محمد داني

تجليات القصة القصيرة جدا

دراسة

الكتاب: تجليات القصة القصيرة جدا

نوعه: دراسة نقدية

المؤلف: محمد داني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى روح زوجتي صامت ثريا التي غادرتني صبيحة الثلاثاء
2018/06/19 إلى دار البقاء...

رجمها الله وأسكنها فسيح جناته

****

محمد داني

مدخل

قصة قصيرة جدا.. حكاية قصيرة جدا... الحكاية الشذرة... أقصوصة.. ومضة... قصة صغيرة...قصيصة... كلها مصطلحات تحاول التأصيل لجنس أدبي جديد... انتقلت من عقال القصة ليكون عالما مستقلا...

إن مصطلح القصة القصيرة جدا، توصيف اختزالي لنص حكائي محدد، لا يستطيع أحد الإقرار بحداثيته المطلقة... فهو موجود في تراثنا العربي القديم: في النكتة، والطرفة، والكدية، والشذرة، والخبر، والملحمة وهي قصة الحذف الفني بامتياز...وقصة الاقتصاد الدلالي، والإيجاز الفني... والاقتصاد اللغوي البعيد عن الحشو الوصفي... تنبني على فن التشذيب، والتهذيب، والتقليم...

وقد اعتبر إدغار ألان بو القصة القصيرة جدا مجموعة من الوقائع التي تقرأ في جلسة واحدة... كما أن الأديب المغربي حسن برطال في حوار له مع القاص المغربي عبد الله متقي، أكد أن:" **القصة القصيرة جدا هي قبل كل شيء برقية ، كلماتها محدودة، ترفض الحمولات الثقيلة.. وهي آلة من آليات التعبير عن حدث معين في زمن معين، ومكان معين... كسائر الأجناس الأدبية الأخرى"...**

ومن المعروف، أن النفس الإنسانية لها قابلية نحو الاختزال، والاختصار، والقصر.. وهذا تجلى في كثير من الإنتاجات الأدبية القديمة.. التراثية.. والتي جمع بينها قاسم مشترك واحد، وهو: الدقة، والإشارة، والتلميح.

والكثير من المنظرين لهذا الجنس الأدبي، يردون فن القصة القصيرة جدا إلى أصوله الإسبانية الأمريكية من خلال كتابات وإبداعات رامون

غوميس ذي لاسيرنا، وخورجي بورخيس،وأنريكي أندرسون إمبيرط، وماركو دينيفي، وخوان خوسي أريولا، وخوسي لويس غونزاليز، وبيدروخوان سوتو....

والسؤال المطروح: هل صفة (القصيرة جدا)، يعطي لأي كتابة أحقية الانتماء للقصة؟...

لو عدنا إلى المتن العربي، لوجدنا نصوصا كثيرة تمتاز بقصرها... وقلة كلماتها.. وتمتاز أيضا بسرعتها، ودقتها، وتركيزها... وقوتها الإيحائية... كما نجد في بعض السور القرآنية، التي تتضمن قصة، وسرعة ، وقصرا.. وفي بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك رسائله صلى الله عليه وسلم، ككتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم .من ثم فإن هناك أشياء أخرى غير القصر.. هي التي تعطي لأية كتابة أحقية الانتماء إلى فن القصة القصيرة جدا ، يذكر منها أنخيل ملدوندو ايفيدو:

- الإحكام.- العمق.- حشد معجم محدود.- حركة الزمن الذي تجري فيه الأحداث المسرودة.- الإيحاء.- الإحاطة بالحركات القصيرة للحياة.

لذا يعتبر الكثير أن كتابة القصة القصيرة جدا، صعبة جدا...وقليل من أحكم عنانها وأملك ناصيتها.. وكانت له القدرة على المسك باللحظة، وعلى التجربة التي تغلفها.. والقدرة على تبئيرها.. وهذا ما دفع بالدكتور أحمد جابر عصفور إلى اعتبار فن القصة القصيرة فنا صعبا، حيث يقول: **"لا يبرع فيه سوى الأكفاء من الكتاب القادرين على اقتناص اللحظات العابرة قبل انزلاقها على أسطح الذاكرة، وتثبيتها للتآمر الذي**

يكشف عن كثافتها الشاعرية بقدر ما يكشف عن دلالتها المشعة في أكثر من اتجاه"[1]...

ومن هنا فإن القصة القصيرة جدا، أكثر صعوبة.. لأنها تتطلب مجموعة من الميكانيزمات، والفنيات، والمهارات قلما تتوفر لكاتب.. والذي هو مطالب بتحقيق فنية، ومتعة قصصيتين في أقل عدد من الكلمات.

والأدب العربي المعاصر، عرف نماذج من القصة القصيرة جدا.. رغم أنه لم يعرها اهتماما.. واعتبرها نماذج من القصة القصيرة..

وقد تنبه جبران خليل جبران إلى هذه الكتابة من خلال اطلاعه على الأدب الأمريكي جراء إقامته بنيويرك، واطلاعه على الأدب الفرنسي من خلال إقامته القصيرة بباريس... وقد تجاهل النقد العربي المعاصر كتابات جبران هاته، وعدها من القصة، والتأملات...

وعندما نعود إلى التعبير السردي المغربي، نجد أنه تضمن كتابات سردية، أثبتها أصحابها تحت مسميات مختلفة:(قصة- قصة قصيرة- قصة صغيرة- أقصوصة- أقصوصة قصيرة- أقصوصة صغيرة).. لكنها لقيت الإقصاء والتهميش.. ولم يلتفت إليها أحد...

ومن خلال البيبليوغرافيا التي وضعها الدكتور جميل حمداوي للقصة القصيرة جدا في المغرب، نجد أن هذا اللون الأدبي لم يعرف انطلاقته الرسمية إلا في مطلع الألفية الثانية.. فنجد أن المجموعة القصصية (زخة ... ويبتدئ الشتاء) للدكتور جمال بوطيب، تعتبر بداية فن القصة القصيرة جدا بالمغرب... والتي ظهرت في طبعتها الأولى سنة 2001...

---

[1] - د. جابر عصفور، (أحمد)، "أوتار الماء"، عمل يستحق التقدير، الأهرام، العدد 42470، ليوم 2003/3/17

كما أن الجرائد المغربية ساهمت في إظهار هذا الفن الأدبي، وذلك من خلال نشر نماذج قصصية في بعض الملاحق الثقافية، كملحق (فكر وإبداع) لجريدة الاتحاد الاشتراكي، والعلم الثقافي، لجريدة العلم.. والمنعطف الثقافي، لجريدة المنعطف.. لما وجدوه فيها من قصر يناسب الجريدة..

وللوقوف على فن القصة القصيرة جدا في المغرب، اخترنا بعض الأعمال لمناقشتها، ومحاورتها واستجلاء تكنيك كتابة فن القصة القصيرة جدا...و هي:

- قليل من الملائكة، للأستاذ عبد الله المتقي.

- الرقص تحت المطر. للأستاذ حسن البقالي.

- مظلة في القبر. للأستاذ مصطفى لغتيري.

وقبل أن ننطلق في تحليل هذه المجاميع القصصية لا بد من إعطاء لمحة إحصائية عنها.. يجملها الجدول التالي:

الجدول رقم 1: جدول المجموعات القصصية المعتمدة وخصائصها

القصص / البيانات	قليل من الملائكة	الرقص تحت المطر	مظلة في القبر
عدد النصوص	63نصا	58نصا	57نصا
عدد الصفحات	80ص	80ص	72ص
أطول نص	شن وطبقةص:57 214 كلمة	الجنة ص:42 210 كلمة	الأسير ص: 40 123كلمة
أقصر نص	حرب ص:35- 21 كلمة	جنين ،ص: 69- 25 كلمة	قمر،ص:28- 21 كلمة
عنوان	مركب من 3 كلمات	مركب من 3 كلمات	مركب من 3 كلمات

الغلاف			
العناوين الداخلية	- 25 عنوانا من كلمة واحدة. - 31 عنوانا من كلمتين. - 7 عناوين من 3 كلمات	- 37 عنوانا مفردا. - 13 عنوانا من كلمتين - 5 عناوين من 3 كلمات - 5 عناوين من 4 كلمات - عنوانان من 5 كلمات	- 54 عنوانا من كلمة واحدة. - 3 عناوين من كلمتين.
خاصيتها	قصص قصيرة جدا	مزجت بين القصة القصيرة جدا والأقصوصة	قصص قصيرة جدا

1- القصة القصيرة عند عبد الله المتقي

- هل صحيح أن ما يكتبه المبدع عبد الله المتقي، كتابة ضد الكوليستيرول السردي؟..:- هل هي كتابة حميائية؟..

هذا يدفعنا إلى السؤال العام: لم يكتب عبد الله المتقي؟ ولمن يكتب؟...

إن عبد الله المتقي الشاعر والقاص، والمبدع، يعي الإبداع ورسالته ويتجلى ذلك في: هوسه لفن القصة القصيرة جدا، وافتتانه بتقنياتها ، وجمالياتها. وإخلاصه لهذا الفن ، وتفننه فيه. ورغبته في الابتعاد عن الكوليستيرول السردي، أو كما يسميه الدكتور عبد المالك أشهبون في مقدمة المجموعة (قليلة من الملائكة)، بالكوليستيرولية...ووعيه بما يتطلبه العصر من سرعة. وما يتطلبه الإنسان المعاصر مما يسمى بالفاست الفود في كل شيء...ووعيه بنفاذ صبر القارئ في متابعة المطولات، ومله من الإطالة والإطناب...و وعيه كذلك بضرورة إعطاء القارئ/ المتلقي كتابة تساعده على استنطاق النصوص السردية. وبضرورة إعطاء القارئ/ المتلقي كتابة تساعده في القبض على المتعة الفنية العميقة. و أيضا وعيه بضرورة جعل القارئ/ المتلقي يشارك مشاركة خلاقة في مساءلة النصوص القصصية ، من خلال فعل القراءة التفاعلية.

من هذه الغايات، والتجليات، جاءت (قليل من الملائكة)، حافلة بنصوصها السردية.. مقدمة عالم عبد الله المتقي القصصي، والذي سنحاول ولوجه، للوقوف على هذه الجماليات، والفنيات في كتابته السردية..

(قليل من الملائكة) مجموعة قصصية من الحجم المتوسط، مقاس 14X20سم...تتكون من 80 صفحة، وتتضمن 63 قصة قصيرة جدا...

كل قصة تشغل صفحة مستقلة أو أكثر.. وهي صادرة عن دار التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع...

تتصدر الغلاف لوحة للفنان التشكيلي المغربي سليمان الإدريسي، والتي تعبر عن شكلين آدميين...أو ملائكيين... واحد جهة اليسار واقف، والثاني مقابل له جاثم على ركبتيه...والمشهد يبين حالة خضوع، وامتثال ومبايعة...وأن الواقف يمثل سلطة.. وأنهما في مقام محاورة...ولمكانة الواقف ، الثاني كأنه في مقام كلام... جاثما على ركبتيه كما كانت تعرف ذلك البلاطات ، وتقاليد السلطة...وهما أمام ضريح ذي بوابة زرقاء موصودة... الشيء الذي يعطي للصورة مشهدا قدسيا...

والصورة تتلاءم مع العنوان(قليل من الملائكة)، الذي يتصدر الغلاف، وجاء بلون أحمر...وأعلاه اسم المؤلف(عبد الله المتقي) باللون الأبيض...وأسفل الغلاف التحديد الأجناسي، وأيقونة دار النشر...

وعندما نمعن في العنوان، ومدلوله، نجده يتكون من (اسم+ جار ومجرور)...ويجعلنا نتساءل:

- القلة في أي شيء؟.. إذا كان الحاضر هو القليل من الملائكة، فما الأكثر حضورا والكثير؟...

- لم لجأ الكاتب إلى هذا العنوان؟.. لماذا جعله معبرا لنصوصه القصصية، ومعبرا عنها، وحاضنا لها؟..

- هل فعلا النصوص القصصية ، تتطلب حضور قليل من الملائكة؟.. هل فيها ما يتطلب ذلك؟..

- ما علاقة العنوان (قليل من الملائكة) بنصوص المجموعة؟. هل كل نص يحتوي جماعة من الشياطين، وبعضا من الملائكة؟..

- لم لا يوجد أي نص يحمل نفس عنوان المجموعة، ويتحمل النيابة عن كل نصوصها؟...

هذا يدفعنا إلى استعراض العناوين الداخلية، التي جعلها الكاتب عتبات لنصوصه القصصية...فنجد أنها عناوين تتنوع مكوناتها وتركيبها، وبالتالي نجد أن هناك:

- 25 عنوانا جاء مكونا من كلمة واحدة.- 31 عنوانا جاء مكونا من كلمتين.- 07 عناوين ، جاءت مكونة من ثلاث كلمات.

لكن الغريب هو أن غرائبية العنوان يقابلها مضمون النصين الموازيين، واللذين يمكن اعتبارهما استشهادا يلعبان دور المصاحب النصي، ويشكلان عتبة التصدير.. وهما تصديران استهلاليان، وهما يوجهان أفق انتظار القارئ/ المتلقي **"وتوسيع أفقه الثقافي في انسجام مع أفق النص"[2]...** وهو تصدير غيري Allographe...

[2] - منصر، (نبيل)، الخطاب الموازي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص: 58

والاستشهاد الأول الذي تصدر قصص المجموعة القصصية، هو للكاتب اليوناني (نيكوس كازانزاكيس)، والثاني للأديب الانجليزي(هنري ميللر)... والسؤال: ما القاسم المشترك بين التصديرين؟...

وما علاقتهما بقصصه القصيرة جدا، رغم أن الكاتبين يعرفان برواياتهما المطولة.. وبسردهما الطويل المبني على الوصف والسرد؟...

هناك أمران يجعلان عبد الله المتقي، يلجأ إلى هذين الاسمين، ليصدر بهما عمله القصصي:

1- صدق التجربة عندهما.

2- جمالية الكتابة لديهما.

3- فنية التصوير عندهما.

4- ثورتهما على الزيف، والظلم، والدونية، وتعرية كل الاختلالات التي تعرفها الحياة الإنسانية.

5- الجنون... فالأول (كازانزاكيس) يرى أن الوسيلة الوحيدة لتغيير العالم هي: الجنون. والثاني يرى في الجنون حبا للإنسانية، وبناء للجمالية، ووسيلة للإبداع، وابتعادا عن التقليدية المقيتة... وبالتالي الجنون عندهما معا.. إبداع ورؤية مخالفة للعالم، والإنسان...

فهل يرى عبد الله المتقي في كتابته، أداة لتعرية الزيف، وإدانة الواقع المتردي.. والتشهير باختلالاته...ووسيلة لرفض التقنيع، والحربائية، والوصولية...وإدانة للعلاقات الزائفة المبنية على الخداع، والخيانة، والمخاتلة؟...

- هل يعتبر كتابته جنونا تستحضر فيه قلة من الملائكة؟..أو تؤيدها قلة من الملائكة.؟. هل يعتبر اللغة نوعا من الجنون؟..

صحيح، إن اللغة نوع من الجنون العذب.. فعند الحديث بها يرقص الإنسان فوق جميع الأشياء- كما يقول نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زاردشت)- ما دام عبد الله المتقي يرقص بلغته في قصصه فوق الواقع ، ومتاهاته..

وعندما نعود إلى الاشتقاق اللغوي للجذر(ج.ن.ن)، نجده يعني: الستر والخفاء.. فهل كتابته ستر وخفاء لكل ما هو جميل ، وعفيف.. ومميز؟.. الشيء الذي يجعل حضور الملائكة قليلا؟... أم أنه يعتبر كتابته جنونا لأن قصصه صغيرة وعاجزة عن الإطالة والسرد الزائد؟..أم أنها جنون.. لأنها تفقد كثيرا من صفات السرد الفني، والوضوح اللازم.. وتخفي أشياء وأشياء، لا يتم الوصول إليها إلا بالتمحيص، والنظر وراء السطور؟...

- هل تعتبر كتابته القصصية جنونا لأنها تتجاوز الواقع، وترصد اختلالاته؟..

I- الموضوعات التي تنبني عليها المجموعة القصصية:

تضم المجموعة القصصية (قليل من الملائكة)63 قصة قصيرة جدا.. وهي نصوص تفاوتت عناوينها وموضوعاتها، وطرائقها السردية.

موضوعاتها متنوعة، بعضها يمتح من الواقع ومفارقاته...تنبش من الذاتي واليومي والهامشي، ومن التيمات الأساسية التي تستند عليها المجموعة القصصية، نجد:

1- **<u>الجنون:</u>** إن الجنون صورة عن العالم الآخر.. يقع في جهة والعقل في جهة أخرى مختلفة تماما.. وكما يقول ميشيل فوكو: لكل إنسان عاقل فيه حبة جنون.

صحيح، أن الجنون خطايا ضد الجسد وأخطاء ضد العقل.. ويعتبره فوكو بأنه الدرب القصير المؤدي إلى الحكمة. وبأن المجنون وجه سري من وجوه الله...

ويؤكد بأن الجنون قطيعة مطلقة في العمل، بوصفه يشكل اللحظة المكونة لاندثارها، ويؤسس في الزمن حقيقة العمل.. إنه يرسم حدوده الخارجية وخط الانهيار ..إنه بروفيل ضد الفراغ[3]...

والجنون يغري، لأنه معرفة...إنه معرفة لأن هذه الصور العبثية كلها تمثل في الواقع عناصر معرفة صعبة، ومنغلقة وباطنية فوكو)... والمجنون، مصدر للحقيقة، والحكمة، ونقد الوضع السياسي القاتم...

والسؤال المطروح، هو: كيف تعاملت كتابة عبد الله المتقي مع ظاهرة الجنون؟.. وكيف وظفه في قصصه القصيرة جدا؟...

إن عبد الله المتقي في مجموعته القصصية (قليل من الملائكة) يوظف ثمة الجنون، توظيفا دلاليا ورمزيا.. من أجل التعبير النقدي عن واقع قيمي واجتماعي سائد، ينبغي تغييره. فهو يوظف الجنون كملمح ماساتي ونقدي، وساخري.. والذي من خلال هذا الملمح نتبين هوية الإنسان المغربي المعاصر... في مجتمع يعرف الكثير من التحولات والتغيرات.. في شتى المجالات والميادين... ساخرا من أولئك الأدعياء: أدعياء

[3] - فوكو، (ميشيل)، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، 2006

الحداثة والتحديث، والذين لا يمارسون في واقع الحال سوى الإقصاء والتهميش، والهيمنة...وتقديم المصلحة الخاصة على العامة...

يقول في قصته القصيرة جدا (أعور):

"مخبول في باحة الضريح، يفلي عانته بأصابع قذرة.

طفل ، أصابعه كما لو أنها أحذية تعدو.

طفل: ثان، بحثا عن أرنب أعور.

بنت: في غابة قاتمة.

يحكم المخبول سرواله، و... يدخل قبة الضريح تاركا خلفه كثيرا من الضحك"...

في هذه القصة يعطينا صورة عن الجنون، والحمق، والخبل... وصورة مقززة عن المجنون الذي خرج في هذه المشاهد عن الذوق العام، وما يرتضيه العرف...

فهو لا يجد حرجا في التعري، وفلي عانته من القمل الذي علق بزغبها...ثم نستشف فيها أمورثلاثة يسخر الكاتب المتقي منها:

- الأول: ارتباط المجانين بأماكن خاصة.. كالأضرحة والزوايا...وفي الثقافة الشعبية ارتباط بعض الأضرحة بالجنون والمجانين كضريح بويا عمر، يعتب عندهم نوعا من الكرامة ، والقدسية...

والثاني: ازدراء المجتمع من المجانين ومظاهر الجنون.. وتمثل ذلك جملته(تاركا خلفه كثيرا من الضحك)..

والثالث:هو التنديد بوجود هؤلاء المجانين في الساحة العامة، في المجتمع...ونستشف تنديده ومطالبته الخفية بأن هؤلاء وجودهم يجب أن يكون في مؤسسات خاصة ، يلقون فيها العناية اللازمة... كما أن هؤلاء الأطفال وجودهم الضروري يجب أن يكون في المؤسسات التعليمية والمعاهد...

والسؤال المطروح، هو: لماذا يركز عبد الله المتقي على هذه الأمور ؟...

الأمر بكل بساطة، هو أن المجنون يقصي من اعتباراته كل الانتماء للثقافي السائد...وإقصاء لكل مؤسساته، ومعاييره ومقاييسه...ويلتجئ إلى الأضرحة وقبور الأولياء والصالحين، والزوايا...لأنه لا يجد فيها أداة وآليات الرقابة، والردع.. كما أنه في اعتقاده، هي مكان للتعقل والاستقامة...

وفي قصته(تطهير) والتي يقول فيها:

"1- رجل عار ، يعدو في الشارع العمومي.

2- في يده سكين يلمع.

3- تعطلت لغة المرور.

4- وقف الرجل بغتة.

5- شرع في تقطيع أذنيه ، أنفه، و...

6- في المشفى ، قال الرجل للممرضة: " كنت أنقي وجهي من الأقنعة"...

في هذه القصة القصيرة جدا، نكتشف كيف يدفع الجنون بالشخص إلى اعتبار أنه الوحيد الذي يدرك الحقيقة..

إنها تقدم لنا صورة لرجل عار تماما، يعدو في الشارع العام، يحمل سكينا.. الكل مندهش لهذا المنظر.. الكل توقف ليرى المشهد إلى آخره.. أمام ذهول المارة، والناس... بدأ يقطع أجزاء من وجهه (أذنيه وانفه وأشياء أخرى)، لأنه يرى أن إزالة هذه الأعضاء ، ستجعله في عالم يقيني، خارج كل زيف... وأنه بحمله لهذه الأعضاء ، فإنه مسجون داخل كم هائل من الأقنعة، أقنعة تكبت حريته، وتجعله يفقد كل إرساء.. وأنها تجعل منه كائنا سيزيفيا لا يتجدد...وأنها تجعل منه كذلك كائنا متعدد الأوجه متعدد الأوجه.. لذا هذه الأقنعة التي يراها تغطي ملامح وجهه، هي نوع من السويداء تدفع به إلى الوحدة والعزلة، والفصام، والشعور بالغربة....ولذا قطعه لهذه الأعضاء هو اعتبار منهم بأنها ستجعله ينتمي إلى الحقيقة،والصفاء...وحضارية المجتمع الكامل... وبالتالي يصبح جنونه نوعا من الانتقال من عالم السفاهة ، والمروق إلى عالم الصفاء، والنورانية...

وفي قصته(مشهد سريالي)...يقدم لنا الكاتب عبد الله المتقي صورة أخرى للجنون، حين يدفع التوتر والجنون شخصا إلى بتر عضوه الذكري...إنه نوع من الاحتجاج، ونوع من الرفض لواقع لا يريده أن يستمر.. واقع ينبني على الخيانة والخديعة، والمؤتمرات... والفساد.. لذا يريد بهذا الفعل أن يتبرأ من شهوانية الجسد، وشبقية الواقع...

في هذه المشاهد، نجد أن الجنون يمس فئة راشدة.. لكن في قصته القصيرة جدا(لوحة) نجد مشهدا للجنون الطفولي، الذي لا يختلف عن أحلام اليقظة عند الأطفال.. حين تتحول رغبات الطفل، وحاجاته

ونوازعه ، واستيهاماته في أعين الراشد جنونا...وخروجا عن المألوف.. وتتعارض مع القيم والأعراف العامة...فتقابل بالتصدير ، والقمع والإقصاء، والكبت.. وهذا يتولد عنه نوع من النكوص، والارتداد العاطفي، والنفسي، والفطام الإجباري لهذه الميول...والدهان.. ثم الانتحار...

يقول عبد الله المتقي في هذه القصة(لوحة):"**أختي ترسم بالفحم طفلا على الرصيف، وتنام فوقه...**

يقبلها الطفل بشفتين مرتعشتين..

تفرح وتلذذ كثيرا في الخيال...

وتنتهي الحكاية هكذا: تصفع أمي وجهها...

تصرخ..

تضرب فخديها، وتنتزع أختي من ضفائرها بقسوة"...

إن الأم ترى في فعل ابنتها نوعا من الجنون.. لذا قابلته بسلوكات عدوانية(الصفع- الصراخ- ضرب الفخذين- الجر من الضفائر- القسوة)...

إنها ترى في عملها هذا نوعا من التجريم، الذي يجب أن يقابل بقسوة، ويقمع في أوانه.. حتى لا يتكرر.. وينطبع كسلوك ..دونما احترام لخصوصيات الطفولة، أو اعتبارات للخيال، ونمو العواطف، وتطورها.. أو مرور الطفلة من مرحلة من مراحل النمو...

إنها مرحلة لعب الأدوار، حيث إن الطفلة تلعب دور الزوجة والأم...أو تتمثل دور ممثلة تأخذها نموذجا الأمثل...ويسعفها في ذلك خيالها الذي يحقق من خلال هذا الاستيهام، وحلم اليقظة حاجاتها النفسية، ويشبعها... وهذا كله يساهم في توازنها النفسي.. لكن الأم ربما الجاهلة، ترى في هذا الفعل عملا لا سويا.. يجب أن يجابه بالقمع...

2- الحب: لم تخل المجموعة القصصية (قليل من الملائكة) من تيمة الحب.. لا لتتحدث عن الحب في شبقيته، وفي غواياته... ولكن لتتحدث عن الحب كقيمة إنسانية... وكوجدان يجعل المرء يشعر بالحياة وجمالها...

ففي قصته (عاشق الموتى)، والتي قول فيها:

" كان كالعاشق...نظر في المرآة، تعطر ، وفي الطريق كان يفكر في الكلمات التي سيقولها.. كان سريع الخطوة... وفي الموعد تماما كان أمام مدخل المقبرة في انتظارها...

مرت نصف ساعة ولم تأت...

ساعة كاملة ولم تأت...

حينها أدرك أنها حائض، فالموتى لا تأخرون "..

في هذه القصة القصيرة جدا.. نستنبط منها الوفاء بالعهد...حيث يجد البطل نفسه ملزما بعهد اتخذه على نفسه، وهو الذهاب إلى المقبرة عله يلاقي روح حبيبته...إنه نوع من الاستيهام، ونوع من الشبقية والولع.. ولحبه الشديد يجد نفسه متلهفا على ملاقاة حبيبه، ولو عن طريق

البانانورمال، وعن طريق التجاذب الروحي... وهذا من فرط حبه، وشوقه وحنينه...

3- الخيانة والتنكر: كثير من قصصه القصيرة جدا، جاءت متضمنة تيمة الخيانة والغدر.. وفيها نشتم إدانة الكاتب لهذه النواقص المشينة..منبها إلى تفشيها في مجتمعنا المعاصر الذي غلبت عيه الماديات... لظروف وأسباب يعلمها الخاص والعام...

ففي قصته (رائحة الحب)، والتي يقول فيها: **"في عربة القطار، كانت هناك امرأة ، أود أن أقول:(في عربة القطار كان هناك رجل أيضا)...**

المرأة تمسح حبات عرق شفاف، والرجل رأسه ثقيلة كالبيضة المتعفنة، لكن لا أملك أن أكون متأكدا(في عربة القطار ، لم تكن هناك سوى امرأة طاعنة في الحزن، رأسها ثقيلة من السهر مع رجل ما تزال رائحته في ملابسها)...

وفي قصته (لذة ناسفة) يقول فيها:**"تعرف على عاهرة بلقاء...**

بعد قنينتين من النبيذ ، بدأ معها مشوار لعب ملتهب.. نبتت على حشفته نبتة حمراء، واختفت..

تصور ما يشبه العش في دماغه.. لم يعد يتحكم في لعابه.. انتهى وانتهت القصة"...

ففي هاتين القصتين نجد إدانة عبد الله المتقي للخيانة الزوجية... والدعارة...والمجون.. ويبين أن الخيانة، والزنا لهما عواقب وخيمة... صحيا وأخلاقيا، ونفسيا... فالكاتب يصور لنا جلسة داعرة، ماجنة.. تتحول من جلسة شرب وأنس، وملاعبة إلى خطيئة بينة .. لكن الأمر لا

يقف عند هذا الحد.. بل يتطور إلى ما لا تحمد عقباه...فالرجل أصيب بداء الزهري(نبتت على حشفته نبتة حمراء).. ونعرف مخاطر الزهري على الصحة عامة والجهاز العصبي خاصة...فكانت النتيجة إصابته بالشلل (لم يعد يتحكم في لعابه).. ثم كان الموت(انتهى)،وبذلك انتهت قصته بنهايته، وانقطع عن الدنيا.. يحمل معه أوزاره,, وخطاياه...

من خلال هاتين القصتين، وغيرهما، نتبين الجانب الأخلاقي، والإصلاحي، والنقدي في كتابة عبد الله المتقي... فهو لا يستعرض هذه الصور هكذا... بل يقوم بتعرية الواقع، وفضح مستور المجتمع...وتبيان خلله ونواقصه، وما يشين العلاقة الإنسانية، والزوجية...وما يسود المجتمع من تدن أخلاقي، وفساد اجتماعي، وانحلال خلقي.. وتدهور للقيم، وبالتالي المجتمع الذي تذهب أخلاقه يموت.. وهذا قد قاله شوقي قديما :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت** إن هم ذهبت أخلاقهم ، ذهبوا**

وهندما تسود مثل هذه المظاهر مجتمعا ما، فإن مآله التدهور، وانتشار الأمراض، وبالتالي يكون الموت...

4- **الموت:** توظيف تيمة الموت في الكتابة القصصية يكاد يكون أمرا شائعا بين كثير من كتاب القصة القصيرة جدا...

وعبد الله المتقي اهتم بهذه الموضوعة في مجموعته القصصية (قليل من الملائكة).. وترصدها في كثير من المواقف، والمشاهد الحياتية.. وجسد في كتابته مواقف العدم والوجود..والحضور والغياب...والموت الإجباري القهري، القائم على المرض، أو الانتحار، كما في قصتيه القصيرتين جدا(مجرد انتحار- ذات)...

- فهل كتابته عن الموت هي في واقعها احتفاء بالموت؟...

- هل كتابته عن الموت، رؤية خاصة للموت ، واعتبارها مخلصة من الدنيا ومتاعبها؟..

- هل كتابته عن الموت، نوع من الجنون الأدبي والفني؟...وهل الموت يعيد الاعتبار للإنسان؟...ويعيد قيمته؟..وهل الموت يخرج الإنسان من النسيان والتهميش؟..

- هل الموت حتمية تحد من غرور الإنسان؟... وتحد من أنانيته المفرطة بسبب الدمار والحروب التي يكون سببا مباشرا لها؟...

- هل الموت تخلص الإنسان من شعوره بالضعف والقهر والفشل.... والعجز والشيخوخة؟..

يقول في قصته (غاز):**"امرأة ورجل مهملان في الدش منذ ثلاث ساعات، ينتظران سيارة إسعاف ن وثلاجة موتى...**

جثتان وسط أشيائهما المبعثرة: فرشاة أسنان، مشط بلاستيكي، قنينة شمبوان، حبيبات غاسول... وماذا أيضا؟...(تسربت رائحة الغاز إلى باقي الغرف)"...

من خلال هذه القصة يقدم لنا الكاتب عبد الله المتقين مشهدا دراميان وهو موت زوجين في الدش بواسطة تسرب غاز البيطان... وهو من خلال هذا المشهد ينبه إلى خطر فادح بدا ينتشر في المجتمع المغربي، وهو الموت اختناقا بالغاز في الحمام جراء استعمال كثير من الأسر المغربية لسخان الماء الصيني الرخيص الثمن ، والذي أودى بحياة الكثيرين...

ثم نجد في هذه القصة نوعا من السخرية السوداء.. ويتجلى ذلك في جملته(منذ ثلاث ساعات ينتظران سيارة إسعاف)...فعملية الإنقاذ كانت منعدمة... وهذا نوع من الإهمال.. والتسيب،، كما تبين كم هو رخيص الإنسان في العالم الثالثي المتخلف...

ولم يكن الموت قاسيا، وبئيسا عندما يكون السبب هو الانتحار.. حيث يعمد المرء إلى وضع حد لحياته لظروف نفسية أو اجتماعية أو عاطفية أو اقتصادية .. ينتج عنها ضغط نفسي، تنهار بسببه المعنويات...

ففي قصته (ذات)، والتي يقول فيها: **"ذات شتاء قديم ، ماتت زوجته بأنفلونزا الطيور...**

ذات ربيع أزرق، عاد إلى بيته في الخامسة صباحا وبعض الزمان...

ذات صيف حارق، رمى بنفسه من النافذة في الشارع الخالي...

ذات خريف حرين، جلس قريبا من جثته يعوي كما ذئب جائع...).

فالقصة تقدم لنا حالة اجتماعية... نرى من خلالها زوجا لم يقو على فراق زوجته التي توفت جراء إصابتها بأنفلونزا الطيور.. وبعد سنة من وفاتها وضع حدا لحياته...بأن رمى نفسه من النافذة...

وفي قصته (مجرد انتحار)، والتي يقول فيها:**"غرفة مثلجة...**

قطة تنام في فروها...

قلم جاف وعاطل عن الكتابة...

وجثة تتدلى من السقف)...

هنا يقدم لنا مشهدا أو صورا لغرفة نتكشف محتوياتها... لنجد في إحدى زواياها جثة رجل شنق نفسه...

ويكون الموت حتميا عندما يصل الإنسان إلى خريف العمر... ساعتها لا ينتظر إلا ساعة الرحيل.. يجلس هذا الإنسان يتملى شريط حياته، ومحطات عمره... كما في القصة القصيرة جدا (مكيدة)، والتي تقول:

"الأشجار حافية من العصافير.. الممرات تصطبغ بأوراق صفراء. فقط رجل متقاعد يتأمل خريف الحديقة، ويتحايل على الموت بعصافير شاحبة، وبأطفال يتقافزون فوق العشب كما السناجب"...

كما نجد عبد الله المتقي يندد بالتقتيل الجماعي.. والممنهج.. والمتمثل في الغزو والحروب، الإبادية.. التي تفني الآلاف.. كما يقول في قصته (حرب):

"1- المتاريس فارغة تماما... سوى قبعات وبنادق مبعثرة، تراقب الموت بحذر...

2- جثت مجهولة الهوية...

3- لا وقت الآن... لدفن الموتى ، إنهم كثر"..

من خلال هذه التيمة نجد الطرح الاجتماعي والفلسفي للأديب عبد اله المتقي اتجاه الموت حاضرا... وبقوة... فنستشف من خلال منظوره للموت أن الإنسان جراء أنانيته الزائدة.. فإنه أحيانا يريد خرق القدر، والمكتوب من خلال اتباع الأهواء.. وغطرسة النفس أو اضطرابها... وكلما تقدم في الحضارة، إلا واختلق وسائل الدمار والموت... فالانتحار

والحروب آليات تدميرية اخترعها الإنسان محاولة منه في التحكم في الوجود، ولأجل مصلحة خاصة كيفما كان نوعها...

5- العلاقات وسيادة الصمت: لا تخلو المجموعة القصصية (قليل من الملائكة) من تقديم صور كثيرة عن العلاقة الإنسانية... والتي افتقدت فيها الحميمية.. والألفة والمحبة.. ولم يستطع الإنسان في زمن العولمة هاته أن يعيد بعض المحبة التي ضاعت، أو أن يحد شيئا ما من الفراغ العاطفي الذي بدا يصبغ الحياة المعاصرة... أو أن يكسر الصمت الذي بدأ يغلف الروح الإنسانية.. ويسكن أنينها.. ويرتق تمزقاتها...

صدمة كبيرة حين تكتشف المرأة خيانة وزجها.. إذ تجد في جيب معطفه ذات مساء منديله ملطخا بحمر الشفاه.. هذا ما تقوله قصة (خيانة):

"1- في غرفة النوم ، فتحت دولاب الملابس على معطفه الكاكي، انتابها الفضول .. وكاد نبضها يتوقف (في جيب المعطف عثرت على قبلة حمراء بمنديله الأصفر)...

لكن المفارقة العجيبة ، والتي ترفع من إدهاش المتلقي، وتصدمه.. هي أن الزوج هو ايضا، وبالمصادفة يكتشف خيانة زوجته، من خلال تصفح خزانة رسائل محمولها...

"2- في قاعة الانتظار، ودفعا للضجر، فتح حقيبتها الكاكية، وكادت تفقئ عينيه رسائل محمولها التالية: (أحبك .. مجنونان نحن... نلتقي بعد الإجهاض)...

الصدمة ترتفع حدتها في هذا المقطع، حيث نتبين أن سلوك الطرفين قتل كل بذرة الحب بينهما...وان كل تواد .. وكل تواصل مات وانتهى... مما دفع المرأة إلى القيام بعملية إجهاض للتخلص من أي ارتباط يربطها بقوة

بهذا الرجل الخائن.. ما دام أن كل عواطفها وهبتها لآخر...وهنا يتعالى السؤال:

- هل هذا نتيجة سوء الاختيار؟.. وسوء توافق اجتماعي وثقافي، بين الزوجين؟... وهل هو ردة فعل انتقامية من الطرفين؟..

ونتوقف مع كاتبنا إلى علاقة إنسانية تنتمي إلى تراثنا العربي الرومانسي. وهي العلاقة التي خلدها الأدب العربي... علاقة قيس وليلى... ونعرف مدى المحبة التي كانت بين الطرفين، وكيف نشأت بينهما هذه المواجد الرقيقة...لكن كان مصيرها الجنون ، والموت...

هنا نقف إلى أنانية العاشق والمحب...فقيس يعرف أنه بنسيبهن وتغزله في محبوبته ليلى، يوقع المنع الأبدي للوصول إلى مبتغاه وهو الوصال ، والفوز بمحبوبته... ويعرف أن الشعر في المحبوبة هو انتهاء العلاقة كما كان معروفا في البادية العربية...لكن تعلونا الدهشة حين نجد أن غضب ليلى ليس النسيب والغزل، وقول الشعر فيها...ولكن حين شبهها قيس بالقمر، استشاطت غضبا لان القمر لم يبق كما كان بكرا...لقد دنسته قدم امسترونغ حين نزل على سطح القمر...ولذا واقع الحال تبين لنا أن عذرية المنطقة العربية قد عفرتها قدم المحتل الأمريكي وغزوه للأراضي العربية بكل وجوه الغزو...

وتشتد الغرابة حينما تتحول علاقة الزواج، ورابطة الألفة والمحبة والسكينة إلى حقد، وضغينة.. ونقلب التواد، والسكينة، والسكن إلى رغبة في الانتقام، والقتل.. فيتمنى كل واحد التخلص من صاحبه.. ويتخيل انه يقتلها مرات ومرات في دواخله، وخياله...

6- الغربة: ويهتم عبد الله المتقي بموضوعة الغربة، والشعور بالوحدة والفراغ.. والإقصاء، والتهميش...

هذا الشعور الذي تتولد عنه الرغبة في الانطواء، والانزواء.. والانغماس في حسرة قاتلة، وصمت مطبق ثقيل...

لقد دخلت الحياة العامة التقانة... ومست العلاقات الإنسانية.. وغيرت النظرة إلى الآخر.. وأصبح الاهتمام بالآلة أكثر من الإنسان.. ففي قصته (play)، نقرأ التالي:

"ثمة أحفاد في فسحة مضيئة ، يتابعون بعشق شريطا للرسوم المتحركة...

ثمة جدة في زاوية معتمة، تفرك حكاياتها بالتيد والصابون حتى لا تتعفن...

كل شيء كان واضحا أمامه تماما.. هو نفسه من يصنع هذه الومضة.. ظل يكتب ، ويكتب و... إلا أن تمكن من هذا السطر: ثمة جدة مفقوسة سبب لها playstationخريفا غامضا"...

لقد كانت الجدة وسيلة للفرجة في زان ولى... سادت فيه الحكاية والمشافهة والحكي والسمر.. حيث كانت الأطفال يتحلقون حول جدتهم تحكي لهم عن هينة ورأس الغول.. تحكي لهم حكايات يمتزج فيها الواقع بالخيال...ومن خلاله يجنح الطفل إلى عوالمه الغريبة... يعيش فيها بخياله وأحلامه... لكن زمن الحكواتي انتهى.. فقد سبت وسائل فرجوية أخرى أكثر تشويقا وإثارة ، البساط من تحت الجدة...ولم يعد أحد يسمع أو يهتم بحكيها... فقد غزا ماوس البيوت، والبوكيمون.. وملأت الرسوم

المتحركة وقت الأطفال... والأنتريت، والبلايسيشون...التي استطاعت ان تشد إليها الطفل لساعات لما تقدمه له من ألعاب مثيرة...

أما الجدة فقد بقيت في زاويتها تداعب سبحتها.. تنتظر من يقدم إليها لتحكي له حكاياتها البائتة.. والحامضة... والمتقادمة...هذا ما دفع بها إلى الانزواء، والصمت.. وطالها النسيان، والتهميش ...

وفي قصته (رحيل العمر)يقول فيها:

"ثمة ما يشبه الهيكل العظمي في زاوية معتمة...

ثمة أحفاد يتابعون بشغف شريطا للرسوم المتحركة.

وثمة جدة " مفقوسة" سبب لها النمر المقنع خريفا غامضا"...

لقد كانت هذه الجدة تجد الدفء في هذه اللمة.. وتجد الأنس، والفرحة وهي تحكي قصصها وحكاياتها لجماعة الأطفال.. لكن اليوم كل شيء تغير...فالأطفال يتابعون حكايات بالصوت والصورة على شاشة التلفزة... وهذا ما سبب للجدة نوعا من ضمور دورها الفرجوي.. ودورها الحكواتي.. ودورها في التنشئة الاجتماعية... ما دام هذا الطفل قد وجد ضالته ، في آلة ذات جاذبية، وتشويق، وإثارة وفرجة...

وأمام هذه التقانة تكبر غربة الجدة في هذا العالم الطفولي.. وتجد أن مكانها لم يعد ذا تأثير... وبالتالي تنغمس في صمت مطبق، وانطواء مهول...

ويمتد الشعور بالغربة عندما يحس الإنسان أنه وحيد في هذه الدنيا.. لا أنيس، ولا رفيق... الشيء الذي يولد في داخله نوعا من النكو، والانطواء...

هذا ما تحس به المرأة عندما يضيع منها شبابها.. وترى أن قطار الزواج فاتها.. وضربت عليها العنوسة بأطنابها... تتألم كلما تملت جسدها...تتلمس فيه الجمال الضائع.. ولمسة الرجل الغائبة.. فتغوص في مرارة ، وحسرة، وأسف قاتل.. وتصبح حياتها غربة، وصمتا.. وشعورا بالخيبة.. لا تجد السلوان إلا في مصاحبة قط تبدد به وحشتها، وتخرق به ومعه صمتها...

هذا نلاحظه في قصة(اشتعال الماء)، حيث نقرأ: **"لا أحد في الشقة سوى سيدة في الأربعين وبعض الشهور، تمسح على ظهر قط رمادي...كانت تتفرج على فيلم أمريكي يحكي عن الغياب.. بغتة سقط الغائب فيها كما الومضة، حينها توهجت السيدة.. دخلت غرفة نومها. أغلقت الباب والنافذة بإحكام، تنصلت من ملابسها، وقفت أمام المرآة ، تفحصت عريها بإثارة، ثم ريثما انتبهت أن قطها الرمادي ينكمش، ويتأهب للقفز على جسدها الشهي"....**

<u>7- الاستيهام والحلم:</u> اهتم عبد الله المتقي بالجانب النفسي في قصصه.. ولذا ضمن بعضها موضوعة الاستيهام والحلم...

والاستيهام هو الرضوخ لفعل الوهم، والاستسلام لعالمه وطلب المزيد منه... والوهم - كما يقول الدكتور الأمين العمراني:**"الاستيهام له علاقة وثيقة بالذهن البشري والتركيبة النفسية للإنسان..إذ يتمرد بموقف ذهن الإنسان إزاء كل ما هو غريب وعجيب، وغير مألوف وخارق للقواعد التي تضبط الظواهر على اختلاف أنواعها"[4]...**

[4] - الدكتور العمراني، (الأمين)،الرواية المغربية، مطبعة ألطوبريس، طنجة، ط1، 2003، ص: 283

ويرتبط الاستيهام – كما يقول الدكتور العمراني- بالإنسان ارتباطا جدليا ، يحيل إلى تداخل الحقيقة والوهم، الواقع والحلم، الطبيعة وما وراء الطبيعة في ذهن الإنسان ونفسيته...وهو تداخل ينعكس على نمط سلوك الإنسان ، ويحدد مواقفه إزاء الذات والوجود والآخرين..

وقد وظف الأديب عبد الله المتقي ، الاستيهام والحلم في بعض قصصه القصيرة جدا في مجموعته (قليل من الملائكة) ، كما في قصته (أونامير)، والتي يقول فيها:

"يرى في النوم ، بابا تفتح على جده، محفوفا بسحابة من الفراشات الملونة.

يرى في النوم ، جده بلحيته المصبوغة ن يحكي للأطفال منتشيا عن أونامير..

ويرى في النوم، أطفالا مندهشين من هذه القصة القصيرة جدا"...

إنه نوع من الحلم اللذيذ .. والاستيهام العجائبي.. فالسارد يؤكد أن البطل يحلم بجده في عالم ملائكي،غرائبي، تحفه الفراشات الملونة... وهو يحكي للأطفال قصة حمو اونمير الأمازيغي، وصراعه مع خوالق العوالم الخفية...

كما رأى النقيض للحلم السابق، وهو أن هؤلاء الأطفال أعجبوا بالقصة القصيرة جدا، لما تحمله من فنيات وجماليات لم يجدوها في حكي الجد.. المبني على الوصف والإطالة، والتمطيط... وغالبا ما لا تنتهي هذه الحكاية لأن النعاس يكون قد أطبق على جفونهم...

إنه حلم استشرافي من خلاله نتبين تطور القصة القصيرة جدان ونقف على مراحلها التي مرت منها.. ومرورها من المشافهة والحكاية، والقصة والقصة القصيرة، ثم القصيرة جدا...

وفي قصته(ذاكرة موت)، والتي قول فيها:**"الليلة الماضية، نزع صورته عن الحائط...**

في صباح الغد، جمع أشياءه في حقيبة سوداء، وقال لزوجته مودعا...ا

- اقرئي كل سبت صفحة الوفيات"...

إن القصة تنبني على نوع من الاستيهام حيث يشعر البطل بأن نهايته اقتربت. +فيجمع أغراضه وأشياءه في حقيبة سوداء، ويطلب من زوجته أن تقرأ صفحة الوفيات، لترى خبر وفاته...إنه نوع من الاستشعار البعيد للموت...كما انه نوع من السوداوية، واليأس الذي يجعل الإنسان يشعر بأنه أصبح زائدا في هذه الدنيا.. وأن لا مكان له هنا... ويحس أن عليه الرحيل,, ومغادرة هذا العالم... وهذا منتهى الانهزامية، والإحباط...

ويتحول الحلم إلى شقاء، ومعاناة نفسية، حين يهيم البطل في أحلام وأوهام.. واستيهامات. تجعله يتخيل نفسه تحت سماء ماطرة.. لكنه في الصباح يكتشف نفسه قد تبول وبلل فراشه.. وهذا يعرضه إلى السخرية والاستهزاء...وربما إلى العقاب... وهنا تتزلزل نفسيته، وتضطرب معنوياته.. ويختل توازنه النفسي، فيغرق في الانتكاس، والاكتئاب، والانطواء، والعزلة.. وهذا ما ركزت عليه قصة(فيضان):

<u>عصفور:</u>

"حلم أنه يعدو تحت سماء ملبدة بغيوم راعدة..

ماء:

سقط المطر عنيفا.. وتبللت ملابسه..

متانة:

في الصباح ، فوجئ الطفل بسرواله غارقا في البول."

كما أن الحلم يجعل هذا المحارب القديم يهيم في عوالم من الخيال... يسترجع ذكرياتهن ومشاركته في الجيش الفرنسي، في حروب فرنسا ضد النازية، بأوربا ، وضد الفيتكونغ في الهند الصينية... فيرتفع ألمه حين يجد انه خرج من هذه الحرب بمعاش ضئيل، ورجل حديدية، وعين واحدة.. ونفس مكسورة... وهذا يمثل واقعه الأليم.. الذي يجعله ينغمس في حسرة عميقة...

إلى جانب واقعه الأليم، فمن خلا الحلم يسترجع ذكرياته وواقعه ، ويتحول الحلم أيضا إلى أداة للاستيهام والعيش في الوهم الحالم.. حيث يحلم في عزلته أنه كان يجب أن يمنح إقامة باذخة في فندق باذخ...يدخن سيجارة كوبية، وينعش جسده بماء مسبح رائع.. ويبلل حنجرته بنبيذ أحمر .. وامرأة تدلك قصعة ظهره.. لكن يصدمه واقع حاله عندما ينظر إلى الحالة التي خرج بها من تجنيده بالجيش الفرنسي، وهذا لا يزيده إلا انغماسا في الصمت، والحسرة.. واليأس، والخذلان.. كما في قصة (طباق الحلم)...

8- السوداوية: إنها سمة لصيقة بنفسية السارد/ البطل، ووجدانه.. وتحدد رؤيته للعالم الخارجي.. وتلونها سوداوية قاتمة أساسها السخط، والامتعاض.. وهي تحول نفسيته إلى نفسية مكتئبة، مريضة...

ومتفككة... كما تتحول في كتابات عبد الله المتقي إلى رفض الواقع، وتسليط الضوء على مواقع القبح فيه، ومواطن الخلل...

وهذه السوداوية ، لا يروم منها عبد الله المتقي وظيفة تطهيرية كما تنادي بذلك الأرسطية.. ولكنه يروم منها الإفصاح عن المعاناة، والتصريح بفداحة الواقع... والبوح بسخافته ورداءته، وعفونته...

كما تروم منها أيضا ولو بطريقة ضمنية، النقد الاجتماعي، أي نقد المجتمع، وما يسود فيه من ترد وتفسخ، وانحلال، واندحار قيم، وتهميش لكل شيء جميل...

وهذه السوداوية، تدفع بأبطال قصصه إلى النكوص، أو الهروب، أو العزلة، والانطواء.. وأحيانا إلى الانتحار... كما في قصة(قصة (غير) منسية)، والمهداة إلى روح الأديبة المغربية الراحلة(مليكة مستظرف)، والتي تقول:**"قبعة بالمشجب تذرف دمعا ناشفا...**

معطف أسود يرتعش من البرد...

كرسي يجلس القرفصاء...

علبة أنسولين...

قطة رمادية تتفرج في ذهول...

بضعة مسودات قصصية، وجثة غارقة في الموت"...

وكذلك نجد هذه السوداوية في قصة (حياتي)، و(مجرد انتحار)، و(قبعتان)، وغيرها من القصص القصيرة جدا...

9- الوعي الشقي للشخوص: نصبو من خلال الوعي الشقي إلى التعبير عن حالة نفسية، وشعورية مأزومة لدى فئات اجتماعية معينة.. يمثلها ويجسدها البطل، جراء الإحباط الذي اعتور طموحاته الطبقية.. كما يؤكد ذلك لوسيان غولدمان...

ومن خلال هذا الوعي الشقي، نستشف الموقف العدمي ، والعبثي للشخوص، ورؤيتهم السلبية للعالم ، واليائسة من الحياة...

وفي قصص عبد الله المتقي، مثل قصته(تطهير) و(ذات)و(طين)، و(ذاكرة موت)، و(الشيخ والبحر)، و(في انتظار غودو)،و(لعبة المخصي)، والتي تقول:

"حين تقمص دور بروميثيوس على هامش حفل آخر السنة، ربت أستاذ الإخراج على كتفيه بعد إسدال الستار، ثم أهداه درعا تذكاريا وعلبة كاراميلا.. لكنه بعد حفل التخرج ، لم يجد خشبة تتسع للعبه، فتقمص دور سيزيف، وانخرط في تفاصيل الحياة"...

وفيها نجد الإحباط الذي اعتور طموحات البطل بعد تخرجه، حينما لم يجد مسرحا ينضوي إليه...وبالتالي سيغرق في عطالة دائمة، وفي انطوائية كبيرة، وسينغمس في اليأس وندب الحظ...

ونستشف إشارة قوية من الكاتب، وهي أن الموهبة تموت إذا لم تجد من يرعاها...ولذا شتان بين البحث عن لقمة العيش، وسد الرمق، والإبداع فهما نقيضان لا يلتقيان أبدا...

10- الكفكاوية: تتجلى الكفكاوية في الغربة، والعزلة، والتحري، والعبث، والإدهاش، والاستغراب، والتردد[5]...

تظهر الكفكاوية في اهتمام عبد الله المتقي بالساعات، وتوظيفها في بعض قصصه.. وهذا يذكرنا باهتمام فرانز كافكا بالساعات، والتي تتفاوت في سرعتها مبينة التفاوت بين الزمن الداخلي للإنسان والزمن الآلي في العالم الخارجي، كما في روايته (المحاكمة).

ففي قصته (ساعة موت)، والتي يقول فيها:

"يندولان عتيقان يتكتكان في أحلام رجل مسن...

(يسقط البندول الأول)

كاد قلب الرجل الهرم يتوقف في النوم...

(يسقط البندول الثاني).

و... يتوقف قلب الرجل عن خفقان...

البندول الأول: يحدق في الساعة الهرمة..

البندول الثاني: يتفرس موت الرجل الذي هرم ما يكفي)...

وفي قصته (بندولان)، والتي قول فيها:

"1- رجل جمع حقيبته، ثم خرج يبحث عن محطة للحافلات...

[5] - Barthes,(Roland) : Essais critiques , Coll.'' Tel Quel''. Ed Seuil. 1964. P :138

2- في نفس اليوم، رزمت امرأة صرتها ، ثم خرجت تبحث عن مطار..

3- هناك في المقهى ...امرأة تحدق مليا في بندول ساعتها المعطل..

4- هناك في الحانة .. رجل نسي موعد المقهى، وفي جيبه ساعة يدوية ببندول واحد ، اقتناها للمرأة من سوق البراغيث"...

ففي القصة الأولى ، نجد عدم التطابق بين وقت البطل/ الرجل المسن، الداخلي، ووقت العالم من حوله.. مشيرا هذا الانعدام إلى إحساسه بالتهاوي، والتفسخ والابتذال في حياته.. وبالتالي ينتج عن هذا الإحساس فقدان الصلة بين الإنسان والعالم...

إن سقوط البندولين، هو خروج من الزمانية ، أو ما سميه كافكا بالخروج عن مجرى الزمن...فالسقوط يعني أن زمنه انتهى... ولم يتبق له من الزمن إلا دقائق معدودة.. وبعدها يكون السقوط النهائي...

ومن خلال الساعة يتضح أنه انفصل عن الزمن العام... واقترب الموت إلى زمنه الداخلي الخاص...

أما الساعة في القصة الثانية، فهي تشبه ساعة (دلسي Dilsey) في رواية (الصخب والعنف The sound and fury) ل(فوكنر).. لها عقرب واحد.. وحتى هذا العقرب أبطأ مما ينبغي...

وعبد الله المتقي ، من خلال توظيفه الساعة في قصتيه، كأنه يقول لنا:"**إن طبيعة الأشياء المنتهية تحمل في ذاتها بذرة فتاتها كجوهر وجودها: أي أن ساعة ولادتها هي ساعة موتها"[6]...**

كما أن ساعاته في قصتيه تشبه ساعة(إيزاك بورغ)، في رواية (التوت البري Wild stamberries) لإنغمار برغمان...

II-الجماليات والفنيات في المجموعة القصصية:

تضمنت (قليل من الملائكة) مجموعة من التقنيات ، التي حققت لها الجمالية والفنية، وجعلتها كتابة قصصية متميزة...

ومن هذه التقنيات، والجماليات والفنيات الموظفة:

1- تقنية الكتابة القصصية: المجموعة القصصية تكتسي فنيتها ، وجمالياتها ، وبالغتها من تنوع قضاياها المتضمنة، والخالية من أي زخرف بلاغي ، أو تزيين براق خادع...

لكن هذا لم يمنع عبد الله المتقي من صياغة قصصه القصيرة جدا موظفا فيها بعض الجماليات والفنيات التي تميزه عن كثير من كتاب القصة القصيرة جدا.. ومن هذه التقنيات:

- حضور لفظ الحكاية في قصة (ساديزم- ماء الحكي- لوحة- اشتعال الماء- غروب- قمر وحكاية-)..

- حضور لفظ القصة في قصة (قصة (غير) منسية).

---

[6] - زيوكوفسكي، (تيودور)،أبعاد الرواية الحديثة، ترجمة: د. إحسان عباس، وبكر عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994، ص: 250

- حضور لفظ الكتابة في قصة (مجرد انتحار- أونامير – سمكة حمراء- مرآة).

- حضور لفظ الومضة في قصة (play).

- حضور لفظ الأحجية في قصة (غبار الضحك)...

وهذا يبين مفهوم عبد الله المتقي لفن القصة القصيرة جدا، فهي كلها مسميات يوردها لمسمى واحد هو القصة...

2- اعتماد الحوار: يحتل الحوار حيزا مهما في بعض قصصه القصيرة جدا.. ويعتبر تقنية مسرحية ، وظفها عبد الله المتقي في كتابته القصصية ليدفع بالحدث إلى الأمام.. وليصعد من درامية القصة، وليطرح من خلاله مجموعة من الأفكار والرؤى، والتأملات...كما في قصته (ماء الفلسفة)، التي قول فيها:

"المطر ينقر زجاج النافذة خفيفا..

الطفل: من أين يأتي ماء المطر؟...

الأم: من السحب.

الطفل: ومن أين تأتي السحب؟...

الأم: من الماء..

فغر الطفل فاه في حيرة بريئة، ولم يفهم..."

3- التكرار: اعتمد عبد الله المتقي في كثير من قصصه القصيرة جدا تقنية التكرار... لما تحققه من إيقاعية، وجمالية ، وترديد صوتي...

ويتخذ التكرار في (قليل من الملائكة) تجليات ثلاث، أساسية، هي:

أ- تجلي معجمي: حيث تتكرر الكلمة مرات في النص القصصي الواحد. وهذه الكلمة تأخذ أشكالا كثيرة:

- فهناك تكرار الفعل كما في قصة (بحيرة الشيوخ)، حيث تكرر فعل (تنصل- انطفأ)

(1- تنصل الرجل من ثيابه الداخلية، ونام قريبا من امرأة ما زالت تلبس جلبابها...

(انطفأ الرجل وأسدل جفنيه ورأى في المنام سمكة في الصحراء).

(- تنصلت المرأة من سروالها الخفيف، ونامت قريبا من رجل يشخر موسيقى الجاز...

(انطفأت المرأة كي تحلم بنفس السمكة تترنح خارج بحيرة ماء).

- تكرار اسم الإشارة ، كما في قصة (بندولان- play- رحيل العمر)..

- تكرار الاسم ، كما في قصة (نور ونار)...

- تكرار حرف الجر. كما في قصة (طين- خيانة).

- تكرار الناسخ الفعلي، كما في قصة (كوخ موسيقى).

- تكرار حرف العطف (الواو).. كما في قصة (لوحة)...

ب- **تجليات تركيبية:** حيث يتم تكرار الجملة مرارا...كما في قصة (قبعتان)...

ج- **تجليات دلالية،** تتكرر فيها الجملة والكلمة معا، بنفس المعنى عدة مرات، كما في قصة(ساعة موت):

"بندولان عتيقان يتكتكان في أحلام رجل مسن.

(يسقط البندول الأول).

كاد قلب الرجل الهرم يتوقف في النوم.

(يسقط البندول الثاني).

و... يتوقف قلب الرجل عن خفقان.

البندول الأول: يحدق في الساعة الهرمة.

البندول الثاني: يتفرس موت الرجل الذي هرم ما يكفي."

4- التهجين والتعدد اللغوي: يعتمد عبد الله المتقي في بعض قصص مجموعته (قليل من الملائكة) على توظيف التعدد اللغوي، الشيء الذي يحقق نوعا من البوليفونية داخل النص القصصي.. نستنبط منها لغة شعبية مهجنة، وملحقة بالفصحى والدارجة المغربية..

ويعبر هذا التعدد عن تعدد الفئات الاجتماعية، وتنوع طبقاتها، واختلافها... وهذا التهجين والتنوع يدل على تهجين المجتمع، وتنوع طبقاته، وصراعه الطبقي...إذ نجده يوظف في بعض قصصه بعض الملفوظات الشعبية، التي تدخل في لسان الدارج المغربي، كما في قصته (رحيل العمر)...فهي تشتمل على كلمة دارجية مفصحة(تفصيح الدارج والعامي)، وهي كلمة (مفقوسة)، ليصف بها الحالة النفسية والمزاجية

للجدة... إذ يعبر بهذه اللفظة الدارجية عن قلقها، وتوترها، وضغطها المرتفع، ولو أن للكلمة مرجعيتها في فصيح اللغة العربية.

كما نجد في قصته(circuit)، توظيفا لملفوظ عامي، يريد به عبد الله المتقي توصيفا لهيئة...وهي (زوينة بزاف).. ليعبر بها عن صفة لازمة للموصوف، وهي(الجمال الكثير)، أي إنها (جميلة جدا)...

وفي قصته (فان كوخ) نجده يستعمل ملفوظا لغويا عاميا، وهو (بحال لغزال)، ليعتمده كتشبيه، فنجد مشبها (امرأة)، وأداة التشبيه(بحال)ن ومشبه به (لغزال)، دون ذكر للوجه الشبه...

ويتخطى توظيف الملفوظ العامي إلى توظيف بعض الكلمات اللاتينية(فرنسية – إنجليزية)،مثل(-free time- remillant ...playstation- the end

وهذا يوفر في هذه القصص القصيرة جدا تعددا لغويا ولسانيا نسبيين.. وهو بهذا يكسر بعض الحواجز بين العامية والفصحى، التي يعمل بها على إعادة تنبير الصوغ الأسلوبي... الشيء الذي يعطي لهذه القصص بعدها الاجتماعي، وعمقه...

كما أن عبد الله المتقي بتوظيفه لهذا التنوع اللغوي والملفوظي، يخرق به عتاقة اللغة..وأحادية الخطاب...

5- هندسة شكل السطر الشعري: عندما نتمعن في بعض قصص عبد الله المتقي، نستشف من خلالها الشاعر المتخفي في القاص...

هذا ما يجعل عبد الله المتقي يغير في هندسة شكل قصصه القصيرة جدا...فيعتمد على الجملة القصيرة، والتي يشكل من خلالها سطرا

شعريا... وبذلك ينتفي النثري أمام الشعري، والشعري ضمن النثري... مما يبين وبالواضح أن القاص عبد الله المتقي قاص وأديب مهووس بالشعر.. ورغم حرصه الشديد، يتسلل الشعر إلى كتاباته.. وأحيانا يثور عليه ليتبدى في شكل الكتابة، وهندستها الشكلية.

يقول في قصته (ماء يحكي):

"الشمس صفراء(كالبول)..

رجل وامرأة

تحت العبارة

يحكيان عن تجاعيد الأرض...

وعن دلو غير مبلل بالماء...

*****

المرأة والرجل ينسجان حكايا عن الجوع...

من قبيل:

شحمة الديك...

قرينة لغزال

بلعمان...

وكان الصبار في تلك اللحظة..

مضطجعا على ظهره..

يشرب ماء الحكي"...

ففي هذه القصة القصيرة جدا، تأخذ جملها شكل السطر الشعري، وبذلك تنتفي الحدود بين النثر والشعر...الشيء الذي يجعلنا من خلال الملمح البصري نجزم بأنها قصيدة شعرية أو تكاد تقترب من الشعر... ما دامت تتلبس شكل القصيدة... وإذا ما قارناها بما ينشر في المغرب من مجاميع شعرية، وما تتضمنه الملاحق الثقافية من قصائد نثرية، فإن هذه القصة القصيرة جدا، وغيرها تدخل في نطاق الشعر والقصيد.. ولا يعفيها من أنها قصيدة تتلبس القصة...

7- **<u>التقطيع والعنونة:</u>** يعتمد عبد الله المتقي في بعض قصصه القصيرة جدا (قليل من الملائكة)، على تقطيع النص القصصي إلى مقاطع مرقمة، أو معنونة، أو هما معا... يجمعها التنظيم ن والوحدة المنطقية لتراتب المعنى.. وأحيانا تتسم بالفوضى، والتشتت واللاانتظام...

فمن القصص القصيرة جدا التي اعتمدت الترقيم، نجد قصة(حرب)، والتي يقول فيها:

-1-

المتاريس فارغة تماما..

سوى قبعات وبنادق مبعثرة، تراقب الموت بحذر...

- 2 -

جثث مجهولة الهوية...

-3 -

لا وقت الآن...

لدفن الموتى ، إنهم كثر..."

وكذلك في قصته (بحيرة الشيوخ) ، و(بندولان) ،و(قبعتان)، و(أغنية)، و(العقيق) ، و(فان كوخ) و(بهدوء قاتل) ، و(كاميرا خفية) ، و(مرآة) ، و(شن وطبقة) . ..

وعندما نتمعن في هذه القصص القصيرة جدا، نجدها تتفاوت فيما بينها في عدد المقاطع، إذ نحصل على التالي:

(- بحيرة الشيوخ ، تتكون من مقطعين مرقمين. - بندولان. تتكون من أربعة مقاطع مرقمة. - قبعتان. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة. - أغنية. تتكون من أربعة مقاطع مرقمة.- سمكة حمراء. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة. - حرب. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة.- العقيق الحر. تتكون من مقطعين مرقمين - فان كوخ. تتكون من مقطعين مرقمين. - خيانة. تتكون من مقطعين مرقمين. - بهدوء قاتل. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة. - كاميرا خفية. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة.- مرآة. تتكون من مقطعين مرقمين. - شن وطبقة. تتكون من ثلاثة مقاطع مرقمة).

أما القصص القصيرة جدا التي تتكون من مقاطع معنونة، أي أنه وضع لكل مقطع عنوانا، فهي:

- قفاز أنيق. و حياتي، تتكونان من مقطعين معنونين.

أما القصص القصيرة جدا، التي تتكون من مقاطع غير مرقمة، وغير معنونة، فصل بين كل مقطع بنجمات، فهي:

- (طباق الحلم.) و(ماء الحكي). تتكونان من مقطعين غير مرقمين، وغير معنونين.

7- **المفارقة:** يعتبر الأستاذ جاسم خلف إلياس، المفارقة من تقانات العمل القصصي، والتي تعمل على تحويل التداولي الحياتي إلى معطى لغوي ذي حمولات متزاحمة...

ويقول في مقال رقمي له، تحت عنوان(المفارقة في القصة القصيرة جدا)، بأن المفارقة تعد لعبة عقلية ذكية من أرقى أنواع النشاط العقلي. إذ هي على الرغم من أنها استراتيجية في الإحباط واللامبالاة، وخيبة الأمل، إلا إنها في الوقت نفسه تنطوي على جانب إيجابي.

والمفارقة في معناها العام، هي جريان حدث بصورة عفوية على حساب حدث آخر هو المقصود في النهاية... كما يؤكد ذلك الأستاذ جاسم خلف إلياس...

والملاحظ في قصص (قليل من الملائكة)، أنها تقوم على الحركة الداخلية، التي تؤسس للحركة الدينامية للقصص، المبنية على المواقف والمفارقات...

صحيح أن المفارقة من أساسيات القصة القصيرة جدا، يمكن أن تحمل في طياتها السخرية أو الدراما...إلا أنها توقع غير منتظر، أو نتيجة عكس المتوقع. وهذا مقصود من القاص، لأنه يكسر بالمفارقة رتابة السرد. كما أنها أمام فقر اللغة ، توفر شيئا من التشويق والإثارة من خلال دهشة وإدهاش المتلقين وصدمته بخيبة التوقع وافق الانتظار في نهاية القصة.

كما أن هذه المفارقة تدفع بالمتلقي إلى قراءة النص القصصي ، الذي يقول شيئا. لكن عليه قراءة ما وراء النص للوصول إلى ما يوحي إليه القاص...

ففي قصته (مجرد درس) والتي تقول"**مشى المعلم وئيدا بين الصفوف.... توقف أمام السبورة، و... كتب عنوان الدرس:**

(وطني يا قلعة الأسود)..

سأل بصوت وديع:

- ما الوطن؟...

التلميذة الأول: " راية باهتة".

التلميذة الثانية ساخرة:" مومس نخرها الزهري".

التلميذ الثالث::" خريف من الجنرالات".

اندهش المعلم ، وقال بغبطة:

" الوطن غائب"...

وفي قصة (كاميرا خفية)، نقرأ التالي:

-1 -

"لم تنقر الباب ، نقرة خفيفة فقط.

اقتربت من قفاه بخطوات ناعمة..

-2 -

لم تقبله كي تغمر ظهره

قشعريرة خاطفة ولذيذة.

بل وضعت فوهة بندقية

فوق صدغه الأيسر

-3 -

مهلا...

كادت متانة الزوج تشتو

لولا تدخل السارد

لولا تدخل السارد:

- "عفوا ، قصة خفية"...

ففي القصة الأولى يمكن أن نعتبرها قصة تربوية، تقوم على ترسيخ بعض القيم الوطنية.. وقد كان سؤال الأستاذ:(ما الوطن؟) مفتوحا على كل الدلالات.. ويحمل في طياته سؤالا فلسفيا.. فكانت الأجوبة متنوعة ومتعددة تبين منظور كل واحد للوطن.. ولو أن كل جواب يتخفى وراء الكاتب.. لكن المفارقة العجيبة هو أن نهاية القصة تقوم بإدهاشنا لما تحمله من معنى.. وما تحمله من مفاجأة... وهو إجابة المعلم كانت جامعة ومانعة.. وصادمة في نفس الوقت...(الوطن غائب).. وكلمة غائب تحمل أكثر من دلالة، وهي حمالة أوجه..

وفي القصة الثانية، نتابع مشهدا دراميا.. يتم فيه ترصد الضحية ووضع فوهة البندقية فوق صدغه.. وكنا كمتلقين ننتظر أن تضغط المرأة على الزناد، وتفجر رأسه.. لكن في نهاية القصة نجد مفارقة عجيبة، وهي أن الأمر كله عبارة عن قصة خفية تشبه الكاميرا الخفية ن وهو مقلب من السارد، يستغفل فيه المتلقي...

8- التجليات التشاكلية: ونقصد بها تكرار الزمن الحاضر أو الماضي أكثر من مرة في نفس النص القصصي.. كما في قصة (ساعة الموت)، حيث تكرر الزمن الحاضر (الفعل المضارع) سبع مرات (يتكتك- يسقط- يتوقف- يسقط- يتوقف- يحدق- يتفرس)...

كما تكرر الزمن الماضي أكثر من مرة، كما في قصة (خطوات): (سمع- تكاثر- كان- شعر- توهم- التفت – كان مجرد خيال- كان مجرد هلوسة- كان مجرد خوف).

9- الصورة السينمائية: اهتم عبد الله المتقي بتوظيف المشاهد المعتمدة على تقنية اللقطة السينمائية، حيث تقترب الكاميرا من المشهد لتركز على بعض جزئياته... كما في قصة (قصة(غير) منسية)، إذ يقدم لنا السارد مشاهد ، تركز فيها الكاميرا على بعض الأجزاء. فنجد (صورة لقبعة بالمشجب تذرف دمعا- صورة لمعطف يرتعش- صورة لكرسي يجلس القرفصاء- صورة لعلبة أنسولين- صورة لقطة رمادية- صورة لمسودات قصصية- صورة لجثة تموت).

كذلك في قصته(بندولان)، نجد توظيفا لتقنية الصورة، وتحرك الكاميرا..و(قصة انتحار)، و قصة (the end)، حيث يقدم لنا الكاتب عبد الله المتقي هذه القصة على شكل لقطات خمس، ومشاهد خمسة.. لتكون

في مجموعها مشهدا قصصيا قابلا للتشخيص، والعرض.. وتجعل منه نصا هو أقرب إلى المشاهد منه إلى المقروء...

10- وجهة النظر: اهتم عبد الله المتقي بوجهة النظر، ووظف موقفه ورأيه ومشاركته وتدخله في بعض قصصه القصيرة جدا..... وبالتالي جاء الخطاب القصصي محملا بمواقف وآراء الكاتب التي جعلته كمتكلم وسارد عارف بكل شيء...

وتتنوع وجهة النظر هذه ، فنجدها تأتي على شكل:

1- تفسير وتوضيح كما في قصته (free time)ن حيث يضيف أربعة أسطر ليوضح ما سيقوم به النادل في الآخر. من تلبية الطلبات، وجمع الكراسي، وكنس أرضية المقهى...

"نادل مقهى free time،مريض بفلسطين...يراقب فسفور الموت بدموع ناشفة...

- وماذا بعد؟..

(في مقهى كهذه، سيكون على النادل تلبية طلبات زبنائه اليتامى: قنينات البيبسي المضببة، سجائر المالبورو، ثم كنس رماد الجثث في العاشرة ليلا).

2- تحديد العنوان: كما نجد في قصته (قفاز أنيق)، حيث يحدد لنا عنوان ديوان ماهر شريف الذي قرأه..

3- الزيادة والإضافة في السرد، والوصف : كما في قصته (بحيرة الشيوخ):

(انطفأ الرجل ، أسدل جفنيه ، ورأى في المنام سمكة في الصحراء)

(انطفأت المرأة ، كي تحلم بنفس السمكة تترنح خارج بحيرة ماء).

4- الإشهاد والشهادة: ومن خلالها نجد السارد يثبت للشخصية قيامها بأفعال..ويبين أنه شاهد على ذلك. كما في قصة (حياتي)..

(وفي تلك اللحظة كنت تدخنين المونتانا الخضراء في قاعة الانتظار، وتقرئين برجك بمجلة نسائية، وكنت انزل الدرج، منشغلا بربطة عنقي)...

5- التعليل: فتدخل السارد هنا يكون لتعليل وتبرير موقف معين، أو فعل يخص الشخصية، حتى يزيل اللبس عن المتلقي، ويبعد عنه كل غموض.. كما في قصة (خيانة):

"1- في غرفة النوم ، فتحت دولاب الملابس على معطفه الكاكي، انتابها الفضول ، و.. كاد نبضها يتوقف..

(في جيب المعطف، عثرت على قبلة حمراء بمنديه الأصفر)..

6- تبيان الحالة: وهو تدخل يروم السارد من خلاله بيان حالة، أو وصفها، لإعطاء صورة وفكرة للقارئ عن الجو الذي كان سائدا أثناء وقوع الحدث. كما في قصة(خيول الكلام):

"كان شهريار أعمى....

وكانت شهرزاد تقرأ له من كتاب الليالي..

فجأة نام الملك، وتحول إلى كائن من شخير..

لم تصدق الملكة عينيها..

أذهلتها المفاجأة..

(حينها بدأت تشتو، وصوت المطر يطقطق النافذة).

وعندما نتمعن في وجهات النظر هذه ، نجدها كلها قد جاءت بين قوسن أو مزدوجتين ، ليميزها عن السرد القصصي.. وليبين للقارئ / المتلقي أن هذا تدخل للسارد في بنية الخطاب القصصي وفي مسار السرد...

2- القصة القصيرة جدا عند مصطفى لغتيري

يعتبر مصطفى لغتيري من الأدباء المغاربة الذين يجيدون فن السرد... وبرعوا في القصة القصيرة، والرواية.. والقصة القصيرة جدا... وهو من كتاب القصة القصيرة جدا، المتميزين اليوم.. إلى جانب حسن برطال، وعبد الله متقي، وعز الدين الماعزي، وغيرهم...يمزج كتابته خيالا وحقيقة، فيجعل منها لوحات فنية وأدبية... تغري بالمتابعة، والقراءة، والتحليق في عوالمها دونما خوف أو ملل...

ومن بين إنتاجات الأديب المغربي مصطفى لغتيري، التي سنسافر عبرها إلى عوالمه الخصبة، والجميلة، (مظلة في قبر)، الصادرة عن منشورات القلم المغربي في يناير 2006، وهي من مقاس 14 X20 سم، تتكون من 72 صفحة. وتشتمل على بطاقة تعريف، وإهداء، و57 قصة قصيرة جدا...

وعندما نتمعن غلاف المجموعة القصصية، نجده يتميز بلونه الأزرق المفتوح(السماوي). تتوسطه لوحة للفنان التشكيلي المصري: إبراهيم عوض... وتمثل ثقبا في جدار تتراءى منه أغصان الدفلى، ووجه القمر في تمامه...ومنديل بنفسجي مسجى فوق حافة الثقب... وساعة فوق مائدة تشير عقاربها إلى الواحدة والربع...

واللوحة تختزل مجموع قصص المجموعة القصصية، حيث تشير إلى الزمن، والصراع القائم بين الزمن والإنسان...كما تبين التطلع إلى الانعتاق، والحرية من خلال الثقب الموجود في الجدار...

وفي أعلى الغلاف ، أثبت يمينا اسم الكتاب، بلون أسود، وتحته ، عنوان المجموعة بخط عريض، أسود مظلل ببياض...وفي أسفل اللوحة ، أثبت التحديد الأجناسي، وأيقونة الدار الناشرة...

وقد وردى العنوان المثبت على الغلاف في صيغة مركب اسمي(مظلة في قبر)(اسم +حرف+ اسم)...

وأول ما يتبادرنا ونحن نقرأ هذا العنوان، هو غرائبيته... والتي تجعلنا نتساءل:

- ما علاقة المظلة بالقبر؟...هل القبر به مظلة، ويحتاج الراقد فيه إلى مظلة حقا؟...

- هل المظلة أداة للنجاة والخلاص من معاناة متنوعة؟...ما دلالة العنوان؟..

- هل يلخص العنوان النصوص القصصية المتضمنة في المجموعة، وينوب عنها ؟..

عندما نتمعن في العنوان جيدا، نجده يتكون من ثلاث كلمات (مظلة+ في+ قبر)... وقد جاء هذا التركيب الاسمي نكرة... كما أن هناك ارتباطا وثيقا بين الأداة (اسم الآلة)، والمكان الذي تتضمنه الجملة المكملة (في قبر)، والمتكونة من حرف الجر الدال على المكانية، و(قبر) الاسم الدال على مكان الدفن...

لكن العجيب ، هو الغرائبية التي تحصل عليها عندما نركب هذه الكلمات ونحصل على العنوان المثبت في الغلاف الخارجي.. فكيف يحتاج الميت

إلى المظلة؟...ونحن نعرف أن لا مظلة للميت في قبره إلا عمله الصالح...

هل تحمل (المظلة) ميتافيزيقيتها الدينية، ومرجعيتها التراثية؟.. هل تلخص كل عمل ابن آدم؟...

إن (مظلة) تحمل من الدلالات المجازية ما تجعل القارئ / المتلقي يستحضر مجموعة من التمثلات، والتصورات ، محاولا الربط بين المظلة والقبر..

والكتابة عند الأديب مصطفى لغتيري، تعبير عن الذات، وتحقيق لوجوده الإبداعي والأدبي.. إنها في الواقع انفلات من ربقة الانحباس، والضيق، وانغلاقية الموروث.. ورتابة نمطية الحكي...فهي عنده ميثاق حداثي، تطوري، حيث: **"يخرج المكتوب عن حدود خطيته إلى آفاق لا متناهية، خاصة وأن الدور الأساسي للأدب يكمن في فعل طرح الأسئلة وعلامات الاستفهام"[7]...**

وهذه الكتابة التي يقدمها مصطفى لغتيري على شكل قصص قصيرة جدا، هي: **"ليست بالكتابة السطحية التي يمكن أن تمسح، أو تنسى بمجرد مغادرتها، بل هي بالحق وفي غير مغالاة، كتابة بالحفر العميق في حقائق وظواهر تجاربنا الثقافية، القومية، والإنسانية، التراثية، والمعاصرة عامة، التي تظل تتابعنا وتلاحقنا بعد قراءتها"[8]...**

و(مظلة في قبر) تتضمن مجموعة من الموضوعات التي استندت عليها في إقامة صرحها القصصي...ومن هذه الموضوعات:

---

[7] - بورقية، (حسن)، وهج الكتابة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2000، ص: 7

[8] - ناعوت، (فاطمة)،الكتابة بالطباشير، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص: 9

1)- **<u>الواقعية والوعي المجتمعي بالمجموعة القصصية:</u>**

إن مصطفى لغتيري، ينظر إلى المجتمع نظرة شاملة من كل الجوانب.. ممزجا في نظرته الاجتماعية هذه إشكاليتين: الفنية والاجتماعية.. معتمدا في ذلك على أسلوب ولغة يجسم من خلالها قضاياها ومنظوره الخاص.

والملفت للنظر، أن الكاتب في وعيه الواقعي الاجتماعي/ المجتمعي، يمزج بين الضمائر، ليبين من خلال هذا التوظيف، السوداوية التي تسود المجتمع.. والفوضى التي أصبحت تتغشاه...

فهو يصور العلاقات وما انتابها من تفسخ، واندحار قيم.. وما غلفها من ارتياب وقلق، وتوتر... الشيء الذي جعل السلوكات تتناقض مع هذا الواقع.. وتسم المجتمع بتشوهات مخيفة...

هذا يجعلنا نكتشف منظور الكاتب مصطفى لغتيري، ونظرته للمجتمع ووقائعه، من خلال البنية السردية للمروي(الحكاية/ الحدث)، والتي نجدها يتجاذبها فعلان، هما:

- إرادة الكاتب / الراوي. و- التغييرات الواقعة في المجتمع.

وبالتالي أصبحت واقعية مصطفى لغتيري تتأسس على أربعة أفعال ، أو على الأصح أربع عمليات:

- الملاحظة والمعاينة. - التساؤل. - التمثل...- الكتابة.

<u>2)-الاستخفاف وتفسخ القيم:</u>

القيم ترتبط بالسلوك الإنساني عامة...والقيمة: **"ترتبط بالسلوك الإنساني وما يولده من مستويات معرفية، تنبثق عنها موضوعات اجتماعية**

وفنية، وحضارية، وفلسفية، تتناول قضايا الإنسان وموقفه من الكون والوجود.. ومن ثم موقفه من عالم لا متناهي الحركة"...

فليست القيمة شكلا مكتملا جاهزا، ثابتا.. بل هي شكل صوري يقبله المنطق من خلال عملية استقراء الواقع الإنسانين وما ينتج عنه من حقائق ترسخ تفاعل الإنسان مع الكون..

فالقيمة التي نتغياها بالدرجة الأولى عند مصطفى لغتيري، هي القيمة الإبداعية، المرتبطة بعملية الخلق الفني.. فتتحول الرؤيا بالفعل الإبداعي إلى خلق جديد يعكس تغيير ملامح العالم...

إن الكاتب يستغرب من التفسخ القيمي والأخلاقي الذي أصبح عليه المجتمع.. وبذلك اندثرت مجموعة من القيم والمثاليات، في مجتمع مادي، أصبحت تطغى عليه الذاتية، وحب المادة، والذات، والشهوات.. والمصلحة الخاصة.. والأنانية...

ففي قصته القصيرة جدا(اكتشاف)ن والتي يقول فيها:

"من مكانها المتواري..اختلست المرأة النظر...رأت زوجها، بتودد يحادث ابنتهما..

بكثير من الفضول تطلعت إلى الفتاة.

على شفتيها لمحت ابتسامة امرأة ناضجة، فانصعقت...

أحست لحظتها، وكأنها تكتشفها لأول مرة..

حينذاك أيقنت المرأة، أن مرحلة من عمرها قد انقضت، وما عليها سوى أن تستعد لمرحلة جديدة"...

هذا يعطينا صورة عن الاختلال الأسري، والاجتماعي الذي أصبح يتفشى في المجتمع المغربي...والقصة تحمل أكثر من وجه.. وتعطينا تعددا قرائيا، وتأويلات عدة...فهي تخبرنا عن تفشي ظاهرة اغتصاب الأصول أو الفروع...وكيف اندثرت العلاقة الأسرية، والأبوية.. وحلت محلها شهوانية تستعبد الجسد، والغريزة الجنسية...

ومن هذه القصة القصيرة جدا، نستشف:

- تفشي ظاهرة الاعتداءات الجنسية على الأصول والفروع.. فالجملة البؤرة(بتودد يحادث ابنتهما)، تجعلنا نتمثل الصورة الذئبية التي تغلف عين الأب، ونظراته الشهوانية لابنته.

- الغيرة التي ملأت صدر الأم، وهي تنظر المشهد بين الوالد وابنته...وتدل على ذلك الجملة البؤرة(فانصعقت).

- شعور المرأة بأن ابنتها أصبحت أنثى ناضجة.. وضعها أمام الأمر الواقع.. إنها تقدمت في السن، وعليها أن تستعد لما هو آت، وهو تزويج ابنتها...

- صورة أخرى تتراءى وهو إحساس المرأة بأن تقدمها في السن، سيجعل الزوج يرى في ابنته الشباب، والفتوة والجمال.. والجسد المغري...

من خلال هذه التمثلات أو القراءات المتعددة. نجد تعددا في القيم المشينة، والتي يمجها الذوق العام (الغيرة- الشهوانية- زوال العلاقات الأبوية، والوالدية وتفسخ علاقة القرابة- اندثار الحنان الوالدي- التفكك الأسري)...

كما أن من القيم التي يدينها الكاتب ، ويتغزل بها الحربائية.. والنفاق الاجتماعي، والتظاهر بغير ما في الذات، والمبالغة في الظهور بزائف المكنون.. في ظل العولمة ، وما مس العالم من تغيرات وتهافت على الماديات...

ففي قصته القصيرة جدا (عولمة) يقول:

"صعد الزعيم إلى المنصة...

لعن العولمة، والإمبريالية، واقتصاد السوق...

أحس- فجأة- بغلة تكتسح جوفه، أومأ إلى أحدهم، فأحضر له- دون تباطؤ- زجاجة كوكاكولا"...

مجتمع اكتسحته المظاهر الكذابة، والبهرجة اللفظية.. والتي تشهدها كثير من المنصات الخطابية، والمحافل النضالية...ولكن في الواقع، السلوك الشخصي للأفراد تبين قيما عكسية دفينة في قرارة النفس، والتي تبين ضعف الإيمان بالمبادئ، وانعدام الثبات على قيم معينة.. والتلون حسب الظروف والمصالح...

كما أن الكاتب يدين أيضا ظاهرة الاستخفاف بالآخر.. خاصة عندما نجد في هذه القصة أن هذا الزعيم يمثل النضال.. وهو في قرارة نفسه يستخف ويزدريهم...ويعتبرهم رعاعا، يتشدق أمامهم بأفانين القول...إنها منتهى السخرية، ومنتهى الشوفينية...

وفي قصته(ثورة)، والتي يقول فيها:

"أطلت زوجة الحاكم من شرفة قصرها...

رأت جحافل الشعب ثائرة...

سألت وصيفتها قائلة:

- لماذا يفعلون ذلك؟...

أجابت الوصيفة:

- إنهم يطالبون بالخبز، لقد أنهكهم الجوع...

مستغربة تساءلت زوجة الحاكم.. ولم لا يأكلون الحلوى؟..."

عندما نتمعن في هذه القصة القصيرة جدا... نجدها ترشح استخفافا واستهزاء.. واحتقارا للمشاعر ، والمطامح...

فزوجة الحاكم، تستغرب من ثورة الناس، وخروجهم إلى الشوارع احتجاجا.. ولم تعرف أن الدافع هو الجوع والبحث عن الخبز...تساءلت لم لم يأكلوا الحلوى؟...وهذا منتهى الاستخفاف...

فكيف يأكلون الحلوى وهم لا يجدون شيئا؟...هذا يدل على أنها لم تكن تعير هي وزوجها الشعب اهتماما...كانا ينظران إليه على أنه جماعة من الرعاع.. وشرذمة من الحثالة... ولذا كانت معاملتها مبنية على الاحتقار والازدراء، واللامبالاة لكل مطالبه وحقوقه...

<u>- الموت:</u>

اهتم مصطفى لغتيري بتيمة الموت.. وضمنها مجموعة من قصصه القصيرة جدا...ففي قصته (الخلاص)، والتي تقول:

"أحدثت الطلقة صوتا مدويا، أفزع الطيور، فانتفضت هاربة... وحدها عصفورة كأنها تعاني من اكتئاب حاد. طارت في اتجاه الصياد باحثة عن فرصة للخلاص...

متحسرا، رفع الصياد عينيه، لمح العصفورة الضئيلة تحوم فوقه. استخسر فيها الطلقة، فتجاهلها...لكن حين لاحظ إصرارها، تأملها لحظة، وكأنها أوحت له بفكرة الانتحار.. وجه فوهة البندقية نحو نفسه، ثم ضغط على الزناد"...

في هذه القصة يمتد اليأس، والاكتئاب إلى حد الرغبة في الانتحار، ووضع حد للحياة...فالعصفورة تعاني أزمة نفسية، تدفعها صوب الصياد عله يطلق عليها رصاصه فيريحها من معاناتها...

إنه إحساس باليأس من الحياة...وسوداوية تغلف النفس والروح...لكن المفارقة العجيبة، هو أن الصياد تجاهلها، وأمام إصرارها صوب فوهة البندقية إلى صدره ، وأطلق على نفسه النار..

إن عدم الرغبة في الحياة.. والشعور بالفراغ المادي والروحي دفع بهذا الصياد إلى الانتحار، لأنه وجد فيه راحة وخلاصا من أزماته النفسية...

وفي قصته(منطق)، والتي يقول فيها:

"بعد قراءته المتكررة لسير العظماء، لاحظ الرجل أن أكثرهم مات منتحرا...

بكثير من الرهبة ، استعرض أسماءهم: هرقل .. كيلوباترا ... هنبعل... نيرون ...

أخيرا، استنتج ما يلي:" لكي يكون المرء عظيما، لزاما عليه أن يموت منتحرا"...

في هذه القصة ، نجد ربطا بين الموت والعظمة...وبين الانتحار والخلود...حيث أن تاريخ البشرية، يحفل بكثير من العظماء الذين طبعوا التاريخ الإنساني، وضعوا حدا لحياتهم، إما هروبا من عقاب، أو يأسا من حب ، أو شعورا بالتخمة من الحياة...وملاذها... أو جنونا .. إلى غير ذلك...

لكن السؤال: هل صحيح أن العظمة رهينة بالموت انتحارا؟.. أليس الانتحار جبنا وضعفا إنسانيا؟...

أليس لهذا المنظور الرابط بين الانتحار والعظمة تأثير سلبي على المتلقي؟...

ففي قصته (خبرة) ، والتي يقول فيها:

"حل فصل الخريف.. تباعا جفت الأوراق وتساقطت...

وحدها ورقة تمسكت بالبقاء. هادنت الرياح .. قاومت أمطار الشتاء القوية...

حين أزف فصل الربيع.. من جديد ظهرت الأوراق...

مبتهجة تطلعت إليها الورقة المخضرمة، وهي الآن تفكر جديا في نقل خبرتها إليها"..

أمام الموت.. ينبع الأمل.. فيتولد حب الحياة.. ونزعة البقاء.. ويتشبث بهذا الأمل رغم الملمات والمصائب.. وحرقة النفس.. فتحيا النفس ،

وتنبعث فيها الحياة من جديد.. ولا يجد الآمل غير التعايش مع محيطه يؤثر فيه ويتأثر به...

- الغرائبي والعجائبي:

اهتم مصطفى لغتيري بالعجائبي فيقصصه القصيرة.. وهو يعي أن الكتابة العجائبية هي كتابة تحمل شيئا من الحلم، والخارق، والغرائبي:**"ويتردد فيها القارئ بين التصديق والتكذيب، قبل أن يسلم بصحة أحداثها الغريبة، لأن الكاتب يتخيل فيها أحداثا ممكنة، ولكنها بعيدة عن الواقع وخارقة للعادة"[9]..**

يقول في قصته(برتقالة):**"صباحا فتحت باب الثلاجة.. مددت يدي داخلها.. تناولت برتقالة.. متلذذا شرعت أقشرها.. فجأة أمام ذهولي ، تحولت البرتقالة إلى سيارة أجرة صغيرة حمراء.. شيئا فشيئا استحالت دهشتي إعجابا بالسيارة.. بتؤدة فتحت بابها الخلفي.. انبثق منها الكاتب متأبطا أوراقه.. مددت يدي نحوه.. دون تردد سلمني إحداها .. متلهفا قرأتها..إنها قصة سيارة أجرة ، تحولت إلى برتقالة"...**

ففي هذه القصة يعمد الكاتب إلى إدهاش المتلقي بغرائبية الحدث...حيث يعمد فيها على الترابط والربط بين الشيء وتحوله.. مكونا من خلال ذلك علاقة دائرية.. فالسيارة تحولت إلى برتقالة ، والبرتقالة تحولت إلى سيارة أجرة صغيرة..

ومن خلال هذه العلاقة الدائرية نتلمس أبعاد أدب الخيال العلمي ، الذي يوظفه الكاتب بطريقة ضمنية...

---

[9] - عزام، (محمد)، أدب الخيال العلمي، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص: 21

فالتحول من وإلى ...يخلف لدى المتلقي نوعا من الخلخلة الفنية ، والنفسية، ويصبح في حالة اندهاش تام...حيث يجد هذا المتلقي نفسه يتعامل مع كتابة جمالية توحي بالواقع والواقعية...ولكن لا يتحقق هذا الواقع ولا يتم تصديقه إلا بإضافة الطابع الخيالي، والعجائبي.. وتلون الكتابة بالأسطرة والتوقع...التي لا تخلو من توهج كتابة الخيال العلمي، والذي تبرهن عليه هذه التحولات الغرائبية...

وفي قصته(ظل)، يقول فيها:

"تفقد الرجل ظله.. فلم يجده .. عبثا بحث عنه في كل مكان...فجأة تراءى له ملقى في القمامة.. متلهفا دلف نحوه... التقطه .. لمعه جيدا... ثم ألصقه به من جديد"...

نجد هذه القصة تغرق في العجائبي والغرائبي.. وتعطينا صورة لا يمكن أن تتحقق إلا في الحلم...

هذا الطابع الخيالي العجائبي، يجعل القارئ يستجمع كل قواه الواعية للوصول إلى بنية القصة.. وتشكيلاتها الإيديولوجية.. الشيء الذي يدفع به إلى التمعن الجيد في هذا الواقع العجائبي، وما فوق الطبيعي.. مدركا في نفس الوقت أن واقعية القصة ليست في احتمال وقوعها.. ولكن في لا واقعيتها.. وهذا ما يحقق نوعا من الجمالية والفنية.. وبالتالي يصل إلى أن هذه الواقعية العجائبية غير قابلة للإدراك ، ولكنها قابلة للاختلاق ، والإنشاء...

<u>- القلق الإنساني:</u>

ينبهنا الكاتب إلى سمة مرضية أصبحت تطبع عصرنا الحالي...وهي سمة القلق والتوتر، التي أصبحت ملازمة للإنسان المعاصر.. جراء ما تعرفه حياته من تغيرات،وتحولات.. ومشاكل ، وصعوبات واختلالات...

وهذا القلق يدفع بالإنسان إما إلى الانطواء والعزلة، والاكتئاب، والانكماش النفسي، أو إلى الانفجار والانفصام، والدهان، والتمرد، أو إلى الانتحار.. وهذا نجده في قصة (الخلاص)، حيث دفع القلق بشخصيات القصة إلى الاكتئاب واليأس من الحياة.. فالحمامة تتوجه صوب الصياد ليطلق عليها رصاصه.. لأنها ترغب في ذلك ... والصياد يستوعب نوايا الحمامة، فيطلق الرصاص على نفسه ليأسه من هذه الحياة...

وفي قصته(كلمة)، والتي يقول فيها..:**"مرتبكا انتصب أمامها...**

فقط يحتاج كلمة واحدة ليحسم الأمر.. نظر إليها مليا...

استهجن أن تمتلك كلمة واحدة كل هذه القوة... حينذاك استحسن حسم الأمر بكلمتين..

حائرا ظل يبحث عنهما...

عبثا حاول العثور على الكلمتين المناسبتين..

حين يئس من ذلك أشاح وجهه عنها وقد داهمه صمت مقيت"...

وكم هو صعب حينما ينتج عن القلق التردد، والنكوص.. والانتكاس.. الشيء الذي يجعل المبادرات لا تتخذ.. وهذا يؤدي إلى ضعف الشخصية، والشعور بالدونية، والاستصغار.. والخوف ويؤدي كذلك إلى الفشل...

إن عدم الثقة في النفس يتولد عنها قلق عارم.. وهذا ما دفع الشخصية في هذه القصة إلى التردد في أخذ القرار.. فنتج عن ذلك شعور بالحيرة والارتباك، واليأس... وبالتالي غرق في صمت رهيب ، وانطوائية عميقة...

- الجنون والخوف:

اهتم مصطفى لغتيري في قصصه القصيرة جدان بتيمة الجنون والهلوسة ، والخوف... وما تخلقه كل هذه الأشياء في الإنسان من مظاهر التفكك، والفصام، والدهانية.. والتدهور النفسي الرهيب...

واخطر الجنون ، جنون العظمة لأنه يصيب صاحبه بهلوسة، تجعله يشعر أنه فوق العالم..وأنه أكبر من كل الناس.. وهذا يدفعه إلى الجبروت والطغيان، والبحث عن الخلود الزائف...هذا ما نراه في قصة(المومياء)، حين دفع الغرور بنابليون إلى أن يبحث عن كيلوباترا حتى يخلد اسمه في وجدان البشر، وهو يدري أن زمان كيلوباترا ليس بزمانه...وأن بينهما قرون سحيقة.. إنه نوع من الحلم / الجنون الذي يؤدي بصاحبه إلى الخرف، والمهاترة، والجنون...

"في كل خطوة خطاها(نابليون) نحو مصر، ظل يداعب خياله حلم، بأن يعثر هناك على كيلوباترا أخرى، ينسج صحبتها قصة حب تخلد ذكراها في وجدان البشر..

جد نابليون في البحث، ونصب عينيه ما حدث منذ زمن سحيق بين أنطونيو ومعشوقته كيلوباترا...

لم يأل جهدا في سبيل تحقيق مبتغاه.. لكن بعد مدة طويلة من التقصي ، اقتنع أخيرا أن المرء ليس بوسعه السباحة في النهر مرتين.. حينذاك حمل معه مومياء.. وعاد قانعا بغنيمته إلى فرنسا"...

وكثيرا ما يدفع الخوف والهلع الشديد، والكوابيس الليلية إلى الجنون والهلوسة.. ففي قصة(كابوس) نقف على معاناة الطفلة.. كلما أغمضت عينيها إلا وهبت فزعة.. وهرولت نحو أمها مرتعشة.. باكية.. لتخبر أمها أن كلبا شرسا يطاردها ويكاد يعضها.. ولما أخذتها إلى فقيه.. وجدت الطفلة في عينيه صورة ذئب.. رأته جاثيا في عيني شخص تعرفه...ارتعبت ...وانطوت على نفسها .. وبدأت في نومها تصرخ مخبرة أمها بأن كلبين يطاردانها...

إن الصورة التي تقدمها هذه القصة، تبين لنا فتاة على حافة الانهيار والجنون...لما تعانيه من أزمات نفسية، وهلوسات، ناتجة عن مكبوتات تسبب لها كوابيس مزعجة.. تكاد تفقدها عقلها واتزانها...

وفي قصة(سرنمة)، نكتشف أمرا خطيرا، وهو : أن الانفصام، والدهان يؤدي حتما إلى الجنون..

ففي هذه القصة تعيش الفتاة حياتين: حياتها الواقعية والتي تكون في يقظتها .. وحياتها الهلامية.. الوهمية.. والمرضية، والتي تكون في منامها... حيث تقوم وهي نائمة لتفتح النافذة أو الباب، ويمكنها في نومها وتجوالها هذا أن تتعرض لأخطار مميتة... لأنها تتخيل واقعا وهميا غير حقيقي ، يوجد في عقلها الباطن...

"فجأة غادرت الفتاة مضجعها.. مغمضة العينين قصدت النافذة.. فتحتها على مصراعيها...تسرب داخل الغرة تيار هواء بارد.. بلطف داعب

خصلات شعرها، تملكها يقين أنها – لحظتها- على قمة جبل جليدي.. روعة البياض سلبت لبها...

متعجلة انتقلت حذاء التزلج...أوشكت – حينئذ- أن تتزحلق نحو سفح الجبل.. لكن يداها باغتتها، وقادتها بلطف نحو سريرها"..

هناك سؤال يلح دائما وبشدة: هل النشوة والفرحة تؤدي إلى الجنون؟...

إذا كان الجنون في بعض دلالته الخروج عن الاتزان العقلي، وعدم القدرة على السيطرة على الأحاسيس. الانغراق في سلوكات مخالفة للعرف.. ويمجها العقل، ويرفضها بشدة...فإن السكر الشديد في جانب منه هو نوع من الجنون المتعمد والمقصود...وبالتالي يفعل السكران أشياء يمجها العقل، ويرفضها العرف .. ولا يستسيغها المجتمع...

هذا ما تركز عليه القصة القصيرة جدا(سعادة)، حيث تجد الشخصية في سكرها فرحة لا مثيل لها... وهذا يذكرنا يقول بديع الزمان الهمذاني (ما العقل إلا الجنون).. ولذا هذا الشخص أثناء سكره، وغياب وعيه، تنحل كل عقده، ويشعر بفرحة عارمة...فهل الإنسان في غياب عقله ووعيه، يفر ، ويتحرر من مراقبة أناه الأعلى الشديدة، والمقيدة لكل سلوكاته؟..

<u>- الانهزامية:</u>

الانهزامية : الشعور بالخسارة، واليأس في تحقيق تقدم.. وفقدان الأمل، والشعور بالضياع، بالفشل والإحباط والضياع...

وقد وظف مصطفى لغتيري، هذه التيمة في بعض قصص مجموعته (مظلة في قبر)، كما في قصته (الكلب)، والتي يقول فيها:

"أحضر الرجل إلى بيته كلبا...

خوفا من هروبه، أحكم وثاقه...

ثائرا ، غاضبا ظل الكلب يترنح متوترا، وعنه تصدر زمجرة لا تلين حدتها...

ذات صباح ، تأمل الرجل الكلب، فتألم لحاله.

دون تردد عمد إلى فك وثاقه. منتشيا بحريته، انطلق الكلب يعدو في كل الاتجاهات...

بعد لحظات احتجب عن النظر..

لم يمض زمن طويل، حتى عاد الكلب هادئا مستسلما...وأمام ذهول صاحبه توجه مباشرة نحو وثاقه"...

ففي هذه القصة نجد توظيفا للانهزامية.. وتتمثل في عودة الكلب إلى وثاقه بعدما هرب عن صاحبه...فرجوعه ناتج عن شعوره بالضياع، والفراغ، ولان لا هدف له في هذه الحياة.. وعبرت بقوة عن ذلك الجملة البؤرة(يعدو في كل الاتجاهات)...

إنه مسلوب الإرادة...يحس انه تابع لسيده، ومستعبد من طرفه..ولا محيص له عنه.. ما دام هذا السيد يؤمن له الطعام والسكن...أي يوفر له أسباب الحياة والعيش...وهذا ما جعله اتكاليا، لا يعرف ماذا يفعل بحريته مادامت نفسه غلفها الشلل واليأس...والإحباط... والاستسلام والقناعة بما أمامه...والرضى بمصيره...من ثمة هروبه باء بالفشل، وكانت النتيجة العودة إلى الوثاق ذليلا...

كما أن قصة (كابوس)، تقدم لنا بعض ملامح الانهزامية.. وتتجلى في موقف الفتاة وصمتها، وسكوتها، وعدم إخبار أمها بالحقيقة التي تسبب لها كوابيس مزعجة...وفضلت الصمت، والعيش مع هذه الكوابيس...

كما أن قصة(كلمة) أيضا نتلمس فيها توظيفا لتيمة الانهزامية.. ويتمثل ذلك في فشل الشخصية في قول الكلمة أمامها.. وخرس لسانها عن البوح بما يشعر به نحوها... فالخجل ، والخوف كبلا لسانه، وجعلاه يشعر بالفشل ، والإحباط واليأس، ما دام الكلام منحسرا في حلقه..وتظهر انهزامية الشخصية جلية في استسلامه لصمت مقيت...

ـ الكاريكاتورية والفكاهة والسخرية:

ضمن مصطفى لغتيري بعض قصصه تيمة الكاريكاتورية والفكاهة والسخرية.. وقدم لنا مشاهد تجمع بين عناصر هذه التيمة...

ففي قصته (كلمة) يقدم لنا شخصية/ نموذجا يصورها تصويرا كاريكاتوريا، إذ نراها خجولة، مترددة، مطأطأة الرأس.. ذابلة العينين.. وضيعة النفس...متقهقرة الإرادة ... عي في لسانه ، وانحباس في حلقه...وأمام فشله الذريع في مرامه... ينكمش على نفسه، وينطوي في صمت ثقيل ، وحزن عميق...إنها صورة مأساوية وكاريكاتورية تذكرنا بشارلي شابلين، وصوره البائسة التي تبعث في النفس ضحكا مريرا...وحسرة قاتلة...

وفي قصته (خيانة)، والتي تقول:

"أبدا لم أخن زوجتي. قال الرجل بلهجة واثقة. فحين أختلي بامرأة ما ، أغمض عيني.. أستحضر زوجتي ، فأشعر بأنني في حضنها.

إنني أتمتع بقوة خيال لا تضاهى"...

فالكاتب يقدم لنا شخصية ساخرة، نشتم في كلامها وخطابها نوعا من السخرية، والازدراء، والاستبلاذ للآخر... كما لا يخلو موقفه من فكاهة تبعث على الضحك...

وفي قصة(ادخار)، نجد شخصية كاريكاتورية، يتأسس من خلال سلوكها موقف فكاهي ساخر.. وهو أن هذه الشخصية قررت الادخار لشراء سيارة.. فلما تجمع لديها مبلغ من المال، صرف النظر عن شراء السيارة.. وقرر الاستمرار في الادخار... وهو موقف ينم عن بخل ، وحب للمال، والادخار.. وهذا يذكرنا ببعض المواقف الكاريكاتورية والهزلية لبخلاء الجاحظ، وبخيل موليير...

II- الخصائص الجمالية والفنية في (مظلة في قبر):

تتميز (مظلة في قبر) بمجموعة من الخصائص الفنية والجمالية، والتي تجعل من هذه المجموعة القصصية عملا محرضا على القراءة ، ومشهيا لالتهام سطورها...

ومن هذه الجماليات والفنيات، نجد:

- البعد المكاني للنصوص القصصية:

عندما نتعامل مع المجموعة القصصية (مظلة في قبر) بصريا، فإننا نقف على البعد المكاني لنصوصها.. حيث نجدها تخضع لقانون تشكيلي خطي/ كتابي معين...هو وليد وعي الكاتب الخاص... ورؤيته للصورة القصصية ، والمشاهد المؤلفة للحدث القصصي.. وبالتالي الفضاء

المكاني في هذه المجموعة القصصية يمتد ويتقلص حسب الصورة أو المشهد السردي...

هكذا نجد قصص(مظلة في قبر) قصيرة ، وذات حجم صغير لا يتجاوز نصف الصفحة أحيانا ..

وعند وقوفنا على نصوص المجموعة ، نجد التالي:

- 51 نصا قصصيا يتكون من نصف صفحة، مكونة نسبة بلغت 89.47%.

- ستة نصوص قصصية ، تتكون من صفحة كاملة وهي(مترادفات- العش- الأسير- كابوس- صفقة- الغرفة).. مكونة نسبة بلغت 10.52%...

وعندما نقف إلى جدلية البياض والسواد، وامتدادهما ، وتقلصهما.. نجد السطور ، وطول الجملة وقصرها، تلعب كلها دورا أساسيا في هذه الجدلية... والتي تظهر على الشكل التالي:

- نص واحد يتكون من أربعة أسطر (المرآة).

- ثلاثة نصوص تتكون من خمسة أسطر (قمر- الصومعة- كذبة).

- أحد عشر نصا يتكون من ستة أسطر (الخطيئة- النورسة- ديانا- برتقالة- المتشائل- الشبيهة- تجدد- صرخة- الزوج- خيانة- لعبة).

- ثمانية نصوص تتكون من سبعة أسطر(الخلاص- ظل- انقراض- منطق- اختيار- كلمة- بلقيس- دخان أسود)..

- ثمانية نصوص تتكون من ثمانية أسطر(مالك الحزين- المومياء- مبدأ- نيزك- السيدة- رغبة- عولمة- ثورة).

- أحد عشر نصا ، تتكون من تسعة أسطر (عشق- مخاتلة- البهلوان- لحظة سلام- تأهب- خبرة- سعادة- الهدية- ادخار- نظرة- تشبيه).

- ستة نصوص تتكون من عشرة أسطر(الكلب- سرنمة- تحية- اكتشاف- احتمالات-رقصة).

- نصان يتكونان من أحد عشر سطرا (الشيطان- متاهة)..

- ثلاثة نصوص تتكون من اثني عشر سطرا (العش- صفعة- الغرفة).

- نص واحد يتكون من ثلاثة عشر سطرا(مترادفات).

- نص واحد يتكون من خمسة عشر سطرا (كابوس).

- نص واحد يتكون من ستة عشر سطرا(الأسيرة).

هكذا نجد أن النصوص التي تتكون من 12 سطرا ، وأكثر تشغل فضاء صفحة كاملة ، وفيها يمتد السواد ، ويتقلص البياض...

- الشكل الهندسي للقصص:

عندما نتمعن في شكلية القصص القصيرة جدا في المجموعة القصصية (مظلة في قبر)، نجدها تتضمن شكلا هندسيا يأخذ شكل القصيدة الحداثية...ولولا خطابها الذي يغلب عليه التقريرية المباشرة، والسرد المشهدي، لاعتبرنا بعض قصص المجموعة قصائد شعرية لا تختلف عن قصيدة النثر...

وقد جاءت 21 قصة معتمدة شكلا هندسيا يشبه شكل القصيدة. وهي:

(العش- الكلب- عشق- ظل- ديانا- قمر- سرنمة- مخاتلة- تحية- منطق- نيزك- اكتشاف- خبرة- سعادة- عولمة- صفقة- ثورة- ادخار- الغرفة- خيانة- لعبة)...

وقد اعتمدت تقنية الأسطر الشعرية، والقافية الحرة.. وطول وقصر الجملة.. كما نجد في قصة (تحية):

في بيت منعزل خارج المدينة..

كان رجل يتمدد على أريكة....

سمع أزيزا قويا...

خمن أن طائرة تحلق على ارتفاع منخفض..

داخلها يجلس رجل...

حانت منه التفاتة نحو البيت المنعزل...

فكر أن داخله رجلا وحيدا...

ود لو يلقي عليه التحية..

لحظتها ابتسم الرجل..

ورفع يده رادا على تلك التحية)...

- الرمزية:

اعتمد مصطفى لغتيري في كتابته القصصية على الرمز ، لما يوفره من تكثيف الدلالة، وإيحاء، وإشارة..

كما أن هذا الرمز يستعين به الكاتب ليشاكس به القارئ، ويدفعه إلى التأويل، والاستحضار، والتمثل، واستعمال البديهة، وتعبئة موارده الثقافية...أي إنه يجعله مشاركا في بناء قصصية نصوصه، وتشكيل دراميتها... بالإضافة إلى ما يحققه هذا الرمز الموظف من لذة ، وفنية...

ففي قصته (ديانا)، والتي يقو فيها:

"في أعماق قلبها طفقت الأميرة تشيد هرم خوفو... لبنة لبنة...

حين أوشكت على وضع الحجر الأخير، خاتلتها الملكة.. سحبت من قاعدة الهرم حجرا...انهدم البناء ، فتصدع قلب الأميرة.."

ففي هذه القصة اعتمد الكاتب على الرمزية بدل التقريرية والمباشرية. لئلا يسقط في التسجيلية، وتتحول قصته إلى وثيقة أو مقالة إخبارية... أو تاريخية...ولذا عبر عن العلاقة التي كانت بين الأميرة ديانا زوجة شارل ولي عهد انجلترا، ومحمد الفايد ابن الثري المصري الفايد... والتي بدأت تلفت أنظار العالم بنوع من الترميز والرمزية...

لكن عاهلة انجلترا إليزابيت الثانية لم تكن راضية على هذه العلاقة التي تمس شرف وسمعة القصر، والعائلة الملكية...فكان حادث السيارة، والذي أودى بحياة الخليلين...

فالكاتب عبر عن الحب والعلاقة اللاشرعية بين العشيقين ب(هرم)، وعن العشيق المصري ب(خوفو)، والحادثة القاتلة رمز إليها بانهدام البناء، وتصدع قلب الأميرة...

وفي قصته (قمر)، والتي تقول"**قبيل جلائها ، أهدتنا فرنسا قمرا...**

تسلينا كثيرا برؤيته... لكن بعد اختفائه، اكتشفنا أنها رحلت...وقد أخذت معها الزر الذي يشعله"...

لقد مزج بين الصورة التاريخية والرمز، دون أن يفقد القصة القصيرة جدا قصيرة جدا في سرديتها، وبريقها...وقد وظف في تقديم بعض المعطيات التاريخية الرمز ليبن السذاجة التي كان يتصف بها المغاربة في الخمسينيات من هذا القرن، حيث كانوا متشبثين بالخرافة، والكرامات، وقداسة الأولياء...وبذلك كان للقمر لدى المغاربة قصة استفادت منها فرنسا كثيرا...وعند الجلاء تركت البلد منهوبا تابعا لها، غارقا في ظلام الجهل والأمية، والأمراض، والفقر...والاستغلال...

والرمز الموظف في هذه القصة، حقق من خلاله تكثيف الدلالة، والإيحائية...ولذا ينبه المتلقي من خلال الرمز الموظف إلى الإحالات التي يرومها معتمدا على استحضار أحداث تاريخية من تاريخ المغرب المعاصر...تمثل في (فرنسا- الجلاء- القمر) ...

<u>- التناص:</u>

إن القصص القصيرة جدا في المجموعة القصصية (مظلة في قبر) لم تأت من فراغ، ولا تتحرك في فضاء هلامي... فهي تتفاعل وتفعل معرفيا وأدبيا.. بما أنها ذات حمولة لغوية وأدبية، وفنية في نفس الوقت... وبذلك هي ليست معزولة ، بل :"**الفعل اللغوي (الملفوظات) عندما**

تتحقق (تخرج إلى العالم)، تخرج أساسا لكي تحاور ، لكي تجابه ملفوظات أخرى.. لكي تفنذ طرحا، وتساند آخر"[10]...

وهذه القصص تحمل في طياتها تفاعلا حواريا لنصوص متعددة وأفكار.. وهذا يدفعنا إلى البحث عن التناصات، أو النصوص الغائبة في هذه النصوص القصصية، لأن التناص " **هو آلية ملازمة لأي نص ، كيفما كان جنسه.. وفي كل زمان ومكان..إنه بهذا المعنى فعل لغوي وثقافي مؤسس لعملية الكتابة التي لا تعترف بالحدود الأجناسية"**[11].أي إنها كنصوص تندرج ضمن الإنتاجية النصية المرتبطة بالمبادلة بين النصوص ، والإنتاجية:"**إذ إنه داخل فضاء النص الواحد نجد عددا من الملفوظات .. إنما أخذت من نصوص أخرى فتقاطعت معه، وتفاعلت"[12]...**

والتناص الذي يوظفه مصطفى لغتيري، تناص يتأسس على تقنيتين:

- الاستضمار. و- الاستحضار.

فمجموعة من قصصه القصيرة جدا ، تتضمن حكاية تقوم عليها القصة. فهو يقوم بعملية الهدم أي هدم الحكاية الأصلية ليقيم على أنقاضها قصة جديدة، تتلبس روح وهيكل القصة القديمة...

---

[10] - أقلمون، (عبد السلام)، النص الروائي والتراث السردي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص: 30

[11] - د. بقشى، (عبد القادر)، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص: 11

[12] - Kristiva,(Julia) : Semiotiké, recherche pour une sémanalyse, Ed , Seuil, 1969 ; p : 113

هذا التضمين يشمل نصوصا تراثية، أو قصة قرآنية، أو حادثة تاريخية، أو مثلا شعبيا يدخل في الموروث الشعبي ، وثقافته...

هكذا يستثمر هذه المرجعيات ليبني عالمه القصصي، بناء فنيا وجماليا...

ففي قصته (مالك الحزين)، نجد فيها تضمينا لقصة (مالك الحزين والحمامة) أو (الثعلب والحمامة) الموجودة في كتاب(كليلة ودمنة) لابن المقفع... لكنه غير ملامح القصة التي بناها على أنقاض قصة ابن المقفع.. وتمثل هذا التغيير في الفضاء الجديد الذي وظفه، وحدده في (مراكش) كفضاء تراثي ليعطي لقصته بعدها التراثي ، ومرجعيتها التاريخية...

كما تمثل التغيير في العبرة التي أخذها هذا المالك الحزين من حكاية سلفه.. وعبر للحمامة الحزينة أن الزمان تغير.. وعليه يجد نفسه مجبرا ألا يتدخل فيما لا يعنيه...

وفي قصته (بلقيس)، نجد استحضارا لقصة سليمان عليه السلام بلقيس ملكة سبأ.. والواردة في سورة (النمل).. قال تعالى:**"قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، قال إنه صرح ممرد من قوارير"[13]...**

وقوله تعالى أيضا:**"وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه، أو ليأتيني بسلطان مبين. فمكث غير بعيد. فقال أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبإ بنبإ يقين. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء، ولها عرش**

[13] - سورة النمل ، الآية: 45- 46

عظيم...وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون"[14]...

فقد اعتمد التناص مع هذه الآيات الكريمات ، موظفا قصة سليمان والهدهد وبلقيس، ليدين التمظهرات الشبقية، الغارقة في الإباحية ، والتي تترصد اللحظة الخفية لاستراق النظر إلى كل ما هو إيروسي ، شهواني...يشعل الجسد نارا...

وفي قصته (المومياء)، نجد تناصا يتم من خلاله استحضار وقائع تاريخية، وهي الحملة الفرنسية على مصر.. وإخفاء طابعها الاستعماري بالطابع الثقافي والعلمي.. وكانت معركة أبي قير فاصلة، جعلت نابليون يحصد الهزيمة ويعود إلى فرنسا يحمل خيبته، معه...

نفس الاستحضار التاريخي نجده في (دخان أسود)، حيث نجد استحضارا لحادثة إحراق روما من طرف نيرون، ليجد الوحي والإلهام لتوقيع ألحانه أمام مشهد النيران وهي تأكل بنايات روما...

كما نجد استحضارا لواقع ما زال يمارس إلى يومنا هذا.. وهو إخبار الناس باختيار البابا الجديد بواسطة الدخان: الأسود إخبار بأن المحادثات ما زالت جارية ، والأبيض(الرمادي) إخبار باختيار البابا الجديد...كما في نفس القصة استحضار لرواية (شفرة دافنشي) ل(داون براون)...

وفي قصة (نورسة)، نجد تناصا من خلاله يتم استحضار الموروث الشعبي، والمتمثل في المثل الدارجي(بلاصتو نبغيها، وبلاصتي نوهبها ليه)أو – كما يقول الدكتور محمد عدناني (الراكب تيقول مصاب نزل، والنازل تيقول مصاب نركب)...ونفس الاستحضار للمثل الشعبي الدارج

[14] - سورة النمل ، الآيات : 20- 24

نجده في قصة(الكلب)، التي تستند في حكايتها على المثل الشعبي المغربي الذي يقول(جوع كلبك يتبعك)...

كما نجد في قصة (منطق) استحضارا للأسطورة.. فمن خلال اسم هرقل نستحضر أعماله الاثني عشر... وموته الغريب... وكيلوباترا والتي تجعلنا نستحضر قصتها الغرامية مع قيصر الروم ومع قائده أنطونيو...وكيف انتحرت بلدغة الكوبرا عندما جاءتها إشاعة موت أنطونيو ، وهذا الأخير كيف انتحر عندما بلغه نبأ انتحار كيلوباترا...، وهنبعل الذي غزا أوربا بأفياله ولكن خانه الحظ ليفضل الانتحار بالسم عوض استسلامه للرومان...ونيرون الذي أحرق روما ليبدع لحنا خارقا...

وهذا يدفعنا إلى وضع تحديد للتناصات الموظفة في المجموعة القصصية (مظلة في قبر) على الشكل التالي:

1- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار التاريخي(مالك الحزين- المومياء- قمر- ثورة- دخان أسود)..

2- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار القرآني(بلقيس- أبراهام).

3- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار للموروث الشعبي (الأمثال المغربية)(النورسة- الكلب).

4- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار للتراث العربي(مالك الحزين- احتمالات).

5- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار الأدبي والثقافي (الخطيئة- برتقالة- دخان أسود- مخاتلة- البهلوان- احتمالات).

6- التناص المعتمد على الاستحضار والاستضمار للأسطورة والملحمة(منطق- اختيار- كذبة).

- استحضار الشخصيات:

في كثير من قصصه القصيرة جدا ، نجد استحضارا للشخصيات التاريخية أو المعاصرة.. وفي استحضاره هذا نجد خرقا للزمن ، وتجاوز له ، حيث ينقل الشخصيات من زمنيتها الماضية إلى زمنية الحاضر، و يجعل من هذه الاستحضارات ومن الوقائع دلالات وثائقية ، من خلالها يبرهن على حالات الانكسار الحضاري والأخلاقي، والسياسي الذي يحس به ، والذي يمس المنطقة العربية كلها... وينعكس على واقعها ...

فمصطفى لغتيري اختار مجموعة من الشخصيات مستلهما أوجه التشابه بين أحداثها وأحداث العصر وظروفه.. إن سلبا أو إيجابا...

وهذه الشخصيات الموظفة لها دلالاتها الفكرية والنفسية ... يستدعيها الكاتب من ذاكرته، ومن مرجعياته الثقافية، مزاوجا بين السياق والرمز في هذا الاستحضار والتوظيف...

ومن الشخصيات المستحضرة، نجد:

- الشخصيات الأنموذج التاريخي[15]، مثل(نابليون- كيلوباترا- أنطونيو- نيرون- الكرادلة- خوفو- الأميرة- الملكة- فرنسا- هنبعل- بني ساسان- الملك يونان- الحكيم دوبان- الوزير- زوجة الحاكم- وصيفة-)..

- الشخصيات الأنموذج العادي، مثل (الفتاة- السيدة- الجدة- الطفلة- الخادمة- الأسير- الجندي- المولدة- الزعيم- الأب- الابن-)...

- الشخصيات الأنموذج الأسطوري، مثل(هرقل- جلجامش- أنكيدو- طروادة).

- الشخصيات الأنموذج الديني / القدسي. مثل(سليمان- بلقيس- أبراهام- ساراي- نوح- الشيطان).

- الشخصيات الأنموذج الأدبي والفكري. مثل(نيوتن- أحمد بوزفور- أدونيس- الحلاج- أبوحيان التوحيدي- أمبيرطو إيكو).

- الشخصيات الأنموذج التراثي. مثل (الملك يونان- الحكيم دوبان- الفقيه- الصياد)..

- الشخصيات المؤنسنة(أنسنة الشخصيات):

وهي الشخصيات التي أخذها الكاتب من عالم الحيوانات أو النباتات ، وأعطاها خاصيات إنسانية، فجعلها في قصصه تتكلم ، وتفكر، وترى وتحس...ومنها (المالك الحزين- الحمامة- التفاحة- المرآة- العصفورة- الهدهد- الكلب- نورسة- الأسود- الغزلان- القط- العصفور- الفراشة- الورقة – النحلة – الزهرة)... كما في قصته (الشبيهة):

[15] - د. زايد،(علي عشري)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت)، ص: 132

"عبر النافذة تسللت فراشة داخل الغرفة.. في أجوائها حامت فترة من الزمن.. بعد هنيهة حطت على المرآة... باندهاش التقطت عيناها شبيهتها.. ابتهجت .. حركت جناحيها جذلة.. قلدتها الشبيهة .. فجأة سمعت باب الغرفة يفتح، فانتفضت هاربة.. تسللت إلى الخارج.. هناك ظلت عبثا تنتظر شبيهتها.. بعد لحظات أغلقت النافذة.. حينئذ أيقنت الفراشة بألم أن الشبيهة قد هلكت"...

ـ الوصف المشهدي:

يتميز الوصف بمشهديته، كأنه عين كاميرا تتحرك لالتقاط صور ومشاهد ، كما في قصة (الغرفة)، حيث نجدها تتكون من صور ومشاهد ولقطات ، هي كالتالي:

ـ اللقطة الأولى: صورة بانورامية لعمارة مقابلة لبيت الشخصية.

ـ اللقطة الثانية: يشتعل الضوء في الغرفة.

ـ اللقطة الثالثة : ظهور خيال امرأة من النافذة.

ـ اللقطة الرابعة: المرأة تعبر الغرفة وتختفي.

ـ اللقطة الخامسة: ينطفئ الضوء.

ـ اللقطة السادسة: يشتعل الضوء.

ـ اللقطة السابعة: ظل رجل يتحرك داخل الغرفة.

ـ اللقطة الثامنة: ينطفئ الضوء ثانية.

ـ اللقطة التاسعة: تضاء الغرفة مرة أخرى.

- اللقطة العاشرة: ظل رجل يحمل شيئا ويغادر الغرفة.

- اللقطة الحادية عشرة: ينطفئ الضوء من جديد.

ويعتمد مصطفى لغتيري في وصفه المشهدي على الإيجاز والتكثيف، والاختزال.. وتوظيف الجمل القصيرة، والرمز، والإيحاء والأنسنة.. كما في قصة (الكلب)، و(شبيهة) وغيرها من القصص...

- التكثيف:

أهم ما تتميز به قصص مصطفى لغتيري القصيرة جدا، هو : التكثيف.. وهذا يعطيها توهجها. وفنيتها.. وإشاراتها الخفية...ولذا جاءت في قليل من الكلمات. ولكن تتضمن معاني كثيرة، واستضمارات واستحضارات كثيرة وغنية...وهذا ما قامت عليه قصة(اختيار)، والتي جاءت متكونة من سبعة أسطر و39 كلمة. ولكن حابلة بالدلالات، والاستحضارات، والمتمثلة في (جلجامش)و(انكيدو)و(الأفعى)، لنتبين أن هذه القصة تتطلب من القارئ استحضارا لملحمة (جلجامش) ليقف على الغرض من اختيار الصديق لأن يكون شخصية (الأفعى)...

وهنا نجد الكاتب ينقل التبئير من السؤال عن اختيار الشخصية ، إلى الشخصية المختارة ، هي: الأفعى... لنتمثل دور الأفعى في ملحمة جلجامش، وبالتالي نعرف سبب اختيارها من طرف الصديق الثاني.

ومن هنا نجزم أن مصطفى لغتيري لم يأت بالتكثيف لغرض الإيجاز، والتوهج.. ولكن أتى به وتعمده ليكون وسيلة وأداة لطرح مجموعة من الأسئلة..ويوفر من خلاله انفجارية المعنى... وبالتالي لا تصبح قراءة المتلقي سطحية ، وعفوية وملساء...وإنما قراءة موجهة.. مثيرة للسؤال ،

كاشفة عن المخفي في القصة، وإكمال نهايتها، والمشاركة في بنائها...ومتفاعلا معها...

صحيح أن التكثيف يوسع من أفق القارئ، ولكن تخيب نهاياتها توقعه وانتظاره...وبالتالي تشكل له صدمة وإدهاشا، وإثارة تحمله من انتظار إلى مفاجأة غير منتظرة...

هكذا نكتشف مجموعة من الجماليات في (مظلة في قبر)، تتعدد دلالاتها .. الشيء الذي يجعل قصص المجموعة غنية بلغزيتها وذهنيتها، ومفارقاتها...وإدهاشها... الشيء الذي يجعل المجموعة القصصية مجموعة محفزة على القراءة، ومتعددة النوافذ...الشيء الذي يجعل توليد الدلالات حاضرا في كل قراءة...وهذا ما يميز مصطفى لغتيري،ويجعله من رواد فن القصة القصيرة جدا...

3- القصة القصيرة جدا عند حسن البقالي

لقد شقت القصة القصيرة جدا آفاقا واسعة..وأصبح الطلب عليها كثيرا.. وغامر في رحابها كتاب كثيرون...ومن جملة الكتاب الذين سبروا أغوارها: الأديب حسن البقالي، الذي أغنى الخزانة العربية والمغربية بمجاميع قصصية عدة.

والمجموعة القصصية التي سنسافر من خلالها في عوالم حسن البقالي، هي:(الرقص تحت المطر)..

وأول ما نقف إليه هي المناصات التي ستساعدنا على دخول عالم هذه المجموعة...

1- الغلاف: (الرقص تحت المطر) مجموعة قصصية من حجم 20X14سم...تتكون من 80 صفحة، تتضمن 58 نصا قصصيا قصيرا جدا... وقد صدرت عن دار سندباد للنشر والإعلام بالقاهرة...في طبعة أنيقة..يتصدر غلافها صورة فوطوغرافية لراقصة بالي ، تحمل مظلة...وفي نفس الصورة ضفة النيل...رمز مصر...

وفي أعلى الغلاف، عنوان المجموعة باللون الأزرق العريض، وجانبه الأيسر التعيين الأجناسي وقد كتب رأسيا... وفي الجهة اليمنى اسم المؤلف باللون الأبيض.. وفي أسفل الغلاف توجد أيقونة دار النشر في وسطها طائر الكروان ، واسم الدار وصفتها.

أما الغلاف الخلفي(الظهر)، فقد ثبتت عليه صورة المؤلف، وكلمة الأديب المصري سمير الفيل، وصورة مصغرة للغلاف الأمامي، وأيقونة دار النشر...

2- العنوان: عندما نتوقف إلى العنوان، والذي هو عتبة لدخول المجموعة ونصوصها القصصية... نجده يتكون من ثلاث كلمات(الرقص+تحت+المطر).. وهو يبين حالة وهي الرقص في زمن ممطر ، ومكان تحت المطر...

وهذا العنوان يذكرنا بالشريط الاستعراضي الأمريكي (singin'in the rain)، لجين كيلي.. والذي يؤدي فيه البطل أغنيته ورقصاته تحت المطر...

ومن خلال العنوا ، نتساءل:

- ما علاقة العنوان بالنصوص القصصية المتضمنة في المجموعة؟..

- لم هذا العنوان الاستعراضي؟...

- هل لخص العنوان النصوص القصصية بالمجموعة، وعبر عنها؟..

3- العناوين الداخلية: عندما نتمعن في العناوين الداخلية، نجدها متنوعة التركيب.. فهناك عناوين تتكون من كلمة واحدة، وهناك عناوين تفوق هذا العدد. وهذا يعطينا الإحصائية التالية:

- 32 عنوانا يتكون من كلمة واحدة.

- 13 عنوانا يتكون من كلمتين.

- 4 عناوين تتكون من ثلاث كلمات.

- 4 عناوين تتكون من أربع كلمات.

- عنوانان يتكونان من خمس كلمات.

من خلال هذه العناوين الداخلية، يتبادرنا سؤال عريض:

- ما هي منهجية العنونة في المجموعة؟

- هل سبق النص العنوان أم العنوان هو السابق للنص؟..

- ما هي منهجية الكاتب في الكتابة؟

- هل استطاع التأثير فينا كمتلقين من خلال نصوصه القصصية، وشدنا إليها؟...

إن حسن البقالي ، يمارس تأثيره، وسحره فنيا.. فيشدنا إلى قصصه شدا.. هذا يجعلنا كمتلقين نبحث عن عوالم جمالية وفنية من خلال نصوصه القصصية القصيرة، لنكتشفها، ونلجها..للوقوف على فنية الكتابة عنده.

إن الكتابة عنده فعل لقراءة الوجود.. وهي تركيب جمالي لمجموعة من المكونات الجمالية واللغوية.

4- مضامين المجموعة القصصية: يطرح حسن البقالي في (دمى روسية)، منظوره للإبداع السردي، وكيف تحول من رواية أو من الطول إلى القصر(القصة القصيرة جدا)...وتحول السرد والوصف إلى سطر واحد اختصر الكتابة ومفهومها كله...

وفي (أنا فريديرش مارو أريد...)، يقدم صورة للتعذيب ، والعذاب الإنساني...وكيف أن الإنسان يصح ضحية أهوائه وأفكاره..

لكن ماذا يفعل الإنسان عندما تكشف عرافة غيبه.. وتعري أمامه أسراره.. وتبين له الخبايا.. فلا يجد بدا من قتلها حتى لا يفضح سره...

لكن هذا الإنسان عندما يجد جو البيت قد أصبح ثقيلا..وأن زوجته كائن لا يطاق.. لا يبقى أمامه إلا خيار واحد..أن يضع حدا لحياتها، وبالتالي تنتهي معاناته..

وتشتد المعاناة، ويعلو الضنى .. عندما يتحول العشق إلى كره.. وتتحول رغبة الحب، ولوعة الحنين إلى رغبة في القتل... مفاجأة كبيرة تعيشها الفنانة التشكيلية لحظة رسمها بورتريها لمن تحب... لكنها تفاجأ بظله ينسل من اللوحة، ويطوق عنقها بذراعيه القويتين...

وفي قصة (نجدة)، يقدم لنا الكاتب صورة غريق، يوشك أن يهلك.. لكن في لحظة تنقذه فاتنة من خلال لمسة لنهديها...

ويبين الكاتب وضعا إنسانيا مهزوزا.. نشاهده في المصحات.. حيث ينتظر المرضى طويلا قدوم الممرضة...وعندما تأتي، تدعو المريض آمرة إياه بخفض سرواله، لتغرز في جلده حقنة داعية له بالشفاء...

ويتعمق حسن البقالي في تصوير مظاهر التخلف...والنصب... والاحتيال.. والتي راح ضحيتها الكثير... حيث أمام ظروف نفسية واجتماعية، تلجأ الأنثى إلى فقيه لفك النحس الضارب عليها.. فتجد نفسها في آخر المطاف مغتصبة..

لكن المفارقة العجيبة، هي عندما يدرك الفقيه أن هذه الأنثى التي ضاجعها جاءت لتتصيدهن وتنشر صوره الفاضحة في الأنترنيت...

وينتقل بنا الكاتب إلى وضع آخر،إذ نجد أنفسنا معه في مقصورة القطار.. الشخصية تتفرس جسد الأنثى المقابلة لها...صور وأحلام، وأمنيات تجول بالخاطر..لكن لا يخرج الشخصية من أحلام اليقظة إلا صفير القطار معلنا الرحيل..

وكم يكون المنظر جميلا عندما نجد المكان مفعما بالحب، والغرام.. فكم تسعد الأنثى في لحظات فرحها بكلمات الحب والنسيب...تجعلها عصفورة تطير بجناحين بهيجين.

لكن ماذا تفعل المرأة عندما تجد نفسها عانسا..؟ ..إنها تمني النفس بعريس يدق بابها...وأمام لوحة ماجريت تتمنى لو يسقط المطر رجالا.. لاختارت دستة ووضعتها في جيبها..أو على الأقل تختار واحدا ينقذها من عنوستها...وتفرح بأيامها المقبلة.

ويتساءل الكاتب، هل يمكن للموسيقى أن تزيل الأحقاد؟...أن تصفي النفوس...؟..وتمحو الخصومات؟.. هذا ما حدث عندما وجد الطفل وهو في طريقه إلى الكونسيرفتوار شابين يتشاجران.. فعزف لحنا أوقف شجارهما وجعلهما ينسيان خصومتهما.

ويتهكم الكاتب من سذاجة البعض ، الذي يستبلذ أمه...يلاطفها لتنام ، ليخلو له الجو لمشاهدة القنوات الإباحية...

وكم هو غريب حين يقارن الطفل بين انتفاخ البالون، وانتفاخ بطن أمه...ويسألها عمن نفخ بطنها...فلا تجد الأم إلا التلعثم، والصمت...

ويتكرر حلم الأطفال..فكم هو صعب أن يتحول الحلم إلى أمنية لاستعباد الآخرين...إن الطفلة الحالمة، تسقط أمنياتها ورغباتها في الاستعباد على قطتها التي تأمرها بلحس قدمها.

ويجأ الكاتب إلى التاريخ..ليستخلص منه مشهدا نرى فيه الرشيد يتحول إلى معتد على نفسه ، معلنا الحرب عليها.. وهو يمارس لعبة التخفي...إنه من خلال لعبته هاته يعيش حياتين مختلفتين، وتصبح العبثية الساخرة

وسيلة للكاتب ليعبر من خلالها عن السذاجة التي يدبر بها البعض أموره السياسية، والاجتماعية والاقتصادية...

فحينما تجد حكومة نفسها في ورطة كمرض الرئيس، فغنها تقدم للشعب شبيهه.. لكن لا تنطلي الحيلة على الشعب لأنه يدرك الفرق في صدق كلام الرجلين...

ويدين الكاتب بشدة الوصوليين، الذين يراكمون الثروات بأية طريقة.. فماذا يفعل أمثال هؤلاء عندما يتغشاهم القيء؟...إنهم يلفظون كل ما ابتلعوه خلسة...

كما أن الواقع السياسي، وما عرفه المجتمع المغربي من قهر، واعتقال ، وتعذيب، لا يغفله الكاتب.. بل يشير إليه من خلال اعتقال المثقفين والأدباء: كتابا وشعراء...وما مس بعضهم من تعذيب واغتيال...

كما أن المجتمع يعرف كل مظاهر الفساد..يسيطر عليه أباطرة المخدرات، والتهجير السري، وما إلى ذلك.. مما يدمر المجتمع، ويجعله أسير موبقات كثيرة.

وتكبر الفداحة، والاستهتار حينما يهمل الإنسان واجبه...ويتهرب من مسؤوليته...وهذا نجده في الشارع العام، حينما يتعرض المواطن للاعتداء أمام أنظار الشرطة التي لا تحرك ساكنا.

كما لا يتوانى الكاتب في تصوير مظاهر الفساد والدعارة وعالم المومسات.. وينقلنا إلى عالم سائقي الطاكسيات ...والعلاقات القرابة والأمومة، حيث لا يتورع أحد الأبناء في وضع والدته في دار العجزة،وهو الأمر الذي بدأ مجتمعنا يعرف حالات مماثلة لها...

وتصبح العبثية مخيمة ظلالها على القصة كلها ، حين نجد الإنسان يملأ قلبه جفاء، وغلظة...فهذه أم ترمي بفلذة كبدها إلى الشارع لأنها لا ترغب فيه...ولا تشعر بأي عاطفة نحوه...

ويدفع الشر بالإنسان إلى التخطيط لأمور لا يفكر فيها إلا الشيطان.. تنبني كلها على الاستغلال، وجمع الثروات...فكم يكون هذا الإنسان شريرا، عندما يقدم فرصة للعمل في مدينة ما لمجموعة من الناس... يستغلهم كيفما شاء.وعندما يكدس ثروة كبيرة، يغلق المعمل ويطير إلى مكان آخر، ليعيد الكرة مع آخرين وهكذا...دونما وازع أخلاقي أو إنساني...

وكم يكون الصدمة كبيرة حتى لحيوان أبكم حينما يجد في القمامة التي يتعيش منها طفلا رضيعا مرمى به وهو مازال على قيد الحياة...

وهناك سؤال يطرحه الكاتب...ماذا يحل بالنحل الذي يصنع من رحيق الأزهار العسل، عندما يكتسح الإسمنت كل المساحات الخضراء؟...ماذا يفعل عندما يغطي الإسمنت كل المروج ولا تبقى زهرة في المكان؟...أمر صعب جدا سينتج عنه انقراض هذه الحشرة النافعة...

ويقدم لنا الكاتب قصة رومانسية...ماذا تفعل المرأة التي تتوصل برسالة كل مرة تجدها غارقة بالعواطف والمشاعر الجياشة...وتجهل مرسلها...وفي النهاية تكتشف أن مرسلها هو ساعي البريد الذي يقرأ لها كل رسالة تتوصل بها...إنها عبثية تنبي عن ضعف الشخصية، وعدم القدرة على المواجهة...

بل أحيانا يدفع الأمر أشخاصا إلى محبة فتاة دونما قدرة على مصارحتها بالأمر.. فيتعقب خطواتها، ويختلس النظرات إليها من بعيد.. بل يدفع الأمر إلى تقبيل الكأس الذي شربت منه بعد مغادرتها المكان...

ـ <u>الكتابة من خلال منظوره الخاص:</u>

إن القصص القصيرة جدا التي أمامنا ، نصوص تحمل رؤية الكاتب للوجود.. وللمحيط.. فيها كثير من الانتقاد والإدانة، والفضح والتعرية...

إن الكتابة عنده عمل لا يخلو من جهد.. ومعاناة.. ما دام يرى فيها تعبيرا عن الذات، وتحقيقا لوجود، وفهما لعالم محيط... ورؤية خاصة لواقع ، وتفسير له...

إنه بهذه الكتابة يعيد بناء عوالمه، ويصوغ أسئلتها التي تتشابك في مخياله.

ففي قصة (دمى روسية)، والتي يقول فيها:**"لا شك أن الأمر يتعلق بانتهاك فادح لروح الإبداع، أن أسود الصفحات لا لشيء، إلا لأن الناشر ينتظر مني العمل الجديد الذي وعدت به في لحظة حماسة زائدة.**

لذلك، وعوض الخمسمائة صفحة الموعودة، سأكتفي برواية من مائة صفحة، بل بقصة قصيرة من ثلاث صفحات... وفي النهاية، لم لا أحصر اهتمامي في قصة قصيرة جدا من سطر واحد، تكون كالتالي:"أخيرا .. كتبت قصة قصيرة جدا""...

إنه يختار كتابة رواية من خمسمائة صفحة.. وهذا ما اتفق عليه مع الناشر.. لكن في ظل عسر الكتابة، يحول مشروعه إلى رواية من مائة

صفحة.. ثم تتحول إلى قصة قصيرة من ثلاث صفحات، ليستقر به الحال في كتابة قصة قصيرة جدا من سطر واحد...

لماذا هذا التدرج والتحول؟...

إن عملية الكتابة الإبداعية صعبة جدا...وتتطلب ميكانيزمات كثيرة، وآليات مساعدة...ولذا وجد صعوبة في كتابة رواية من مئات الصفحات. فاستقر به الأمر في سطر واحد...هذا يذكرنا بمقولة الفرزدق(لخلع ضرس أهون علي من قول بيت من الشعر)...ويذكرنا أيضا بما كان يفعله أبو تمام حين كان يتقلب أرضا إلى أن يحضره وحي الشعر...

فالشخصية وجدت صعوبة في كتابة رواية لذا اكتفى بالقصة القصيرة جدا، لانها لم تتطلب منه أي جهد يذكر...فهل هذا صحيح؟...

إن من أصعب الكتابات ، كتابة القصة القصيرة جدا.. لما تتطلبه من الكاتب من نباهة ويقظة، وفنية ودراية بفن القصة القصيرة...وحنكة في الكتابة السردية...

إن الكتابة التي يريد حسن البقالي هي الكتابة الأدبية... التي تقول للقارئ شيئا. وتمده بإبداع يجعله مشدودا إليه..

هذا يجعلنا نستشف انه في كتابته يعي مفهوم الكتابة، حيث تجعله يتساءل:

- هل ما يقدمه للقارئ تتوفر فيه الأدبية؟... وصالح للقراءة؟..

- هل ما يكتبه له حدوده الشكلية والفنية؟.

- هل ما يكتبه لا يربك القارئ، ولا يخل بأفق انتظاره ؟.. ويؤزمه؟..

إن الكتابة عنده تصبح مكاشفة، وتشظية، وانتقادا وتعرية لكثير من الظواهر الاجتماعية، والمظاهر المبتذلة.. وتردي القيم...

إنه في كتابته يستلهم ما يرى وما يقرأ، وما يسمع...

هكذا نجد حسن البقالي في قصته الأولى يبين أنه اختار كتابة القصة القصيرة جدا، ومارس كتابتها داخل كتابة أولى(التشظي)...لأنها تعفيه من الإطالة، والحشو اللغوي الزائد..

لقد جرب الرواية والقصة القصيرة، لكنه وجد في القصة القصيرة جدا نفاذا أكبر ، وإقبالا أكثر... لذا استقر رأيه عليها، فجاءت(الرقص تحت المطر)...

ـ المكونات الجمالية والفنية:

ترتكز المجموعة القصصية (الرقص تحت المطر)، على مجموعة من الخصائص الفنية ، والجمالية، ومنها:

1- الفكاهة والنكتة: إن حسن البقالي يورد في قصصه القصيرة جدا ، بعض المواقف التي تثير الضحك، لما تنبني عليه من متناقضات، وغريب الأمور...ولا تخلو من فكاهة... ونكتة...

والفكاهة لا تتوقف عند الموقف وحده، وإنما تتوقف أيضا عند نظرة الإنسان إلى الأمور وفهمه ، وتقويمه لها...

يقول في قصته (عصير ليمون وعيون دافئة)**"كانت تشرب عصير ليمون وتتحدث إلى جليستها...استغرقها الموضوع كلية..فلم تنتبه إلى طيفه المتواري، خلف حزمة إعاقات نفسية...**

ظل يرقبها بعيون مولهة، حتى إذا قامت، هرول إلى كأس العصير يحضنه في رقة غامرة"..

فهذه القصة لا تخلو من فكاهة..ناتجة عن مجموعة من المواقف المضحكة والساخرة في نفس الوقت...وبالتالي نستشف منها فكاهة الموقف والمفارقة...إذ كيف يجتمع الحب والعقد النفسية في شخص لا يقوى على البوح والمصارحة والمواجهة...يجد لذة في لثم وضم كأس شربت منه من يحبها.. وهذا يذكرنا بالعشاق القدامى حين كان العاشق يتغنى بالطلل الذي يذكره بالحبيب، والديار التي كان يسكنها...والمكان الذي كان يقضي فيه نهاره...

ومن القصص التي تضمنت النكتة، قصته القصيرة جدا (لقاء2)، والتي يقول فيها:

"في بهو المصحة التقى طفل وطفلة:

- هل أبوك مريض أيضا؟.

- لا...

أبي مريض جدا وأعمامي يستعجلون موته كي يرثوه...

- هل هو غني؟..

غني جدا لكنه مريض جدا، وسيموت.

- أبي لم يكن غنيا ومات...

- وفيم وجودك هنا؟..

- أزور أمي وألعب في البهو...

- أمك مريضة؟...

- أمي منظفة...هي التي تمسح خراء أبيك..."

في هذه القصة نجد فيها تحويلا للنكتة الشعبية المتداولة في الشارع المغربي، والتي استطاع حسن البقالي مسرحتها،وتحويلها إلى اسكيتش ضاحك، تتخفى فيه النكتة الساخرة، والناقدة...اللاذعة...فهي تقارن بين عالمين متناقضين، وبين طبقتين مختلفتين...وهمين متفارقين...لتنتهي القصة بنكتة ساخرة، تبين حاجة كل طبقة إلى الأخرى....من خلا علاقة تتأس على الاستغلال...

2- السخرية والمفارقة: يعرف جورج لوكاش السخرية بقوله:**"وتدل السخرية من حيث هي مكون للجنس الأدبي الروائي، على أن الذات المعيارية والمبدعة تنشطر ذاتين: إحداهما هي تلك التي تجابه، من حيث هي طوية القوى المركبة الغريبة عنها، وتجهد في سبيل جعل محتوياتها نفسها تخيم على عالم غريب**، والأخرى **هي التي تكتشف الطابع التجريدي لعالمي الذات والموضوع، وبالتالي طابعهما المحدود"[16]...**

ويؤكد الأستاذ جاسم خلف إلياس أن المفارقة تعد تقانة مهمة من تقانات العمل القصصي، إذ تحول التداولي الحياتي إلى معطى لغوي ذي حمولات متزاحمة...

[16] - لوكاش،(جورج)، نظرية الرواية، ترجمة الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، 1988، ص:70

وعند الأستاذ جاسم ،تعد المفارقة لعبة عقلية ذكية من أرقى أنواع النشاط العقلي, إذ هي على الرغم من أنها استراتيجية في الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل؛ إلا إنها في الوقت نفسه تنطوي على جانب ايجابي، فهي سلاح هجومي فعّال، وهذا السلاح هو الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد وليس عن الكوميديا. . وإذا كانت المفارقة تعني في ابسط صورها القصصية جريان حدث بصورة عفوية على حساب حدث آخر هو المقصود في النهاية، أو هي تصرف الشخصية تصرف الجاهل بحقيقة ما يدور حوله من أمور متناقضة لوضعها الحقيقي، فهي تقانة قصصية يهدف القاص من وجودها النصي الخروج على السرد المباشر وهو خروج يبعث على الإثارة والتشويق...

ففي قصته (علاقة)، نقرأ التالي:

"ها هي ذي المرأة مقبلة.. رائحة عطر خفيف مر..والرجل الذي ظل ينتظر لفترة ، هب من مكانه.

يد المرأة تفتح الباب المغلقة، وعينا الرجل تحضنان المجال.

المرأة التي دخلت تنزع جلبابها، تهيئ نفسها ، ثم تدعو الرجل إلى الدخول...رفرفة عين واختلاجة عابرة... هما الآن خلف حجاب...

يفك الرجل أزرار السروال.. فتقبل المرأة بيدين حانيتين.. تغرز الحقنة تحت الجلد المزرق، وتدعو له بالشفاء"...

ففي هذه القصة نجد نوعا من السخرية الدفينة، وتتمثل في رد الفعل للرجل الذي كان ينتظر قدوم المرأة...والتي كانت قادمة في كامل زينتها، يفوح عطرها ويعبق المكان...تدعوه للدخول،رفرفة عينيه واختلاجة عابرة، تبين ما يدور في خلد هذا الرجل من صور وتمثلات...

(هما الآن خلف حجاب...يفك الرجل أزرار السروال)..هنا يتصور القارئ أشياء وأشياء.. ويتوقع أن يحدث شيء ما ، يدل على اختلاجة الرجل العابرة، ورفرفة عينيه، واللتين احتضنتا المجال وما يوجد فيه...

كما أن (فك أزرار السروال)، تجعل القارئ يتصور أن علاقة جنسية ستحدث وراء الحجاب...وأن لذة وشبقية ستتدفق في هذا المكان الخفي...

لكن المفارقة العجيبة، والتي خلقت نوعا من الصدمة والإدهاش ، وخيبة التوقع والانتظار ، هي أن هذه المرأة ما هي إلا ممرضة.. والرجل كان ينتظرها لحقنه...

ونجد السخرية عند حسن البقالي، تتأسس في بعض قصصه على مبدأ المفارقة الضدية... حيث كلما ازداد العالم الواقعي الراهن مفارقات، ازدادت درجة التهكم والسخرية لدى السارد...

وفي قصته السابقة (لقاء2)...نجدها تحبل بالمفارقة والتهكم والسخرية.. فالكل كان ينتظر داخل المصحة، ليس شفاء الأب ولكن موته، ليوزعوا ثروته...وقد كنا كمتلقين نظن أنهم جاؤوا من شفقتهم على هذا المريض لزيارته ومواساته، والتخفيف عنه عناء المرض...لكن المفارقة الصاعقة، والصادمة، والتي خيبت كل توقعاتنا...أنهم ينتظرون موته...

كما نتبين مفارقة أخرى في الفارق الطبقي والاجتماعي بين الطفلين...فالطفلة ابنة هذا الموسر الذي ينتظر الكل موته...لتوزيع ثروته...والطفل ابن المنظفة ينتهي أن تنتهي أمه من عملها...وهو من طبقة فقيرة ، محرومة..

كما أن هناك مفارقة صارخة، وحابلة بالمتناقضات ، وتتمثل في جواب الطفل:(**أمي منظفة...هي التي تمسح الآن خراء أبيك)...**

وتتحقق السخرية عند حسن البقالي على ثلاثة مستويات:

1- إحداث تقابل بين عالمين، للمقارنة بينهما من حيث الخصوصيات والاهتمامات. كما في قصته القصيرة جدا(جبن) والتي يقول فيها:

"أحس بالجوع...

فأف قصائد عن أطايب الطعام..

أحس بالجوع ثانية..

فتغزل بالشفاه والأرداف والخصور النحيلة...

لكن...

حين أحس بالاختناق...

لم يكتب عن الحرية"...

فالقصة تقابل بين عالمين تعيشهما الشخصية: عالم خيالي تدخله من خلال قصائدها التي تتغنى فيها بأطايب الطعام...وصور الجميلات... وعالم واقعي، تحس فيه بالقهر، والاختناق، والاستعباد.. ولكنه لم يستطع تغييره، أو فعل أي شيء.....لأنه مجبر على الصمت، والخنوع والاستسلام...

2- يتخذ طابع الهجاء، والتهكم من الواقع والمحيط، والفاعلين فيه.. ورصد مفارقات الراهن وتناقضاته... وهذا نراه في قصته(لقاء1)، والتي يقول فيها:

"ذات يوم أفاق كلب العائلة، وبعد أن استرجع للحظة بقايا حلم، جعل يفكر في تاريخه الشخصي، الفاقد لأي مجد..لم يغب عنه أنه صار عزيز العائلة المدلل: الصغير يتمسح به، والكبير يقدم له الأكل، فيما المرأة ترى فيه مرآة لتلاوين حياتها الزاهية..لكن لماذا لا يتذوق طعم السعادة، وكلما نام رأى نفسه يهوي في بئر سحيق؟..

في نفس اللحظة تململ طفل الشارع يستل ذاته من بقايا خدر...وغمس ذهنه في شرطه الوجودي: أكلي فضلات.. وسادتي قطعة إسفلت وبين كل الأزقة والدروب.. من أنا؟..ما أنا؟..

بعد برهة التقى الطفل والكلب في مفترق طرق... الطفل يحلم ببيت يحضنه.. والكلب يمني النفس بالفضاءات الشاسعة.

نظر ك منهما إلى الآخر...فهما بعضهما البعض... ثم سار كل منهما في اتجاه..".

3- غير مباشر، وهو التمرد على السرد الخطي، وبلاغية الخطاب، وتبني سرد قصصي يستند إلى التكثيف والإيحاء، والاختزال والحذف، والاختصار، والمفارقة...كما في قصته(توهان)، والتي يقول فيها:

"بضع نحلات ظلت تحوم في البراري...

لم تكن تتفقد رحيق الأزهار..

ولا كان قفيرها بالقرب...

بل مصنع كيماويات ألهب نومها بالكوابيس وضيع كل الحواس..

بضع نحلات ضيعت لغة الجهات"...

3- التناص: تنفتح قصص المجموعة القصصية (الرقص تحت المطر)، رغم اختزالها الشديد ، على نصوص أخرى غائبة...

ففي قصته(عصفورتان)، نقرأ المقطع التالي:"**الأرجح أنه كان يوم عيد، حيث وقعت نسوة المدينة على اتفاق يبشر باستعادة الحياة لشاعرية مفتقدة"...**

نجد في هذا المقطع تناصا مع الآية الكريمة(**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ظلال مبين)[17]....**

وفي قصة (نشيد) والتي يقول فيها:

"قال الألف: أنا أول الحروف...

قالت الياء: وأنا مسك الختام...

خلخلت البقية نظام الطابور وشكلت جوقة جعلت تنشد:

"بَ بُ بِ

أباك عروبي

مشى لخيمة

سرق لحيمة"..

[17] - سورة يوسف، 29- 30

لبث الألف والياء وجها لوجه..أصابها برد شديد فطأطأ رأسيهما وانضما إلى الجوقة...واستمر النشيد حتى الصباح"...

في هذه القصة القصيرة جدا، نجد الكاتب حسن البقالي يوظف نصا غائبا هو من الموروث الشعبي.. كان يردده الأطفال في لعبهم في فترة الستينيات... تنديدا بما كان يعرف بطريقة ترانشار في المناهج التعليمية المغربية آنذاك...والتي سارت على منوالها سلسلة (اقرأ) كتاب القراءة الذي قررته وزارة التهذيب الوطني(وزارة التربية الوطنية)، وهي من تأليف المرحوم أحمد بوكماخ...

أما قصة (القصة والسمكة المبعثرة)، والتي يقول فيها:

"ذات أمسية ظليلة ، نضد كاتب قصة الجملة التالية:

" لم يبق من نصيبه في (الشبكة) سوى (سمكة) مبعثرة، ودفع بها إلى الصدور بوصفها قصة قصيرة جدا...لنفترض أن الكاتب يتحدث عن رجل يعتاش من صيد السمك، وأن حظه العاثر أوقعه ذلك اليوم في سمكة مبعثرة لا غير.. وفي هذه الحالة يتوجب علينا ان نقدم جوابا على السؤال: كيف يتبعثر السمك في البحر؟...

أما الافتراض الثاني ، وهو الأقرب إلى العنوان. فالشبكة هنا لا تعدو كونها شبكة للكلمات المتقاطعة في جريدة تداولتها أيدي زبناء كثيرين لنفس المقهى، قبل أن يحين دوره ويصادف آخر الكلمات: سمكة مبعثرة.

يبقى الاحتمال الآخر: هو أن الشبكة ليست شيئا آخر غير الحياة، بل صخبها وتشعباتها وأقدارها الغامضة، والتي لم يكن حظه منها غير التمزق وجروح في الوجدان"...

إن القصة تستحضر قصة القاص المغربي حسن بطال(**لم يبق من نصيبه في (الشبكة) سوى (سمكة) مبعثرة)...**

ومن خلال القصة يحاول حسن البقالي الدلو بدلوه في النقاش الحاد الذي دار حول هذه قصة حسن برطال: هل ما كتبه يعتبر قصة قصيرة جدا.. ..؟

وقد تضمن تدخله ثلاث افتراضات هي:

1- أن القصة تتحدث عن صياد اصطاد يوما سمكة مبعثرة...

2- أن القصة تتحدث عن شخص يملأ شبكة للكلمات المتقاطعة في جريدة بمقهى.. وعندما تسلم الجريدة، لم يتبق له من الشبكة غير(سمكة مبعثرة).

3- أن القصة تتحدث عن الحياة التي تشبه الشبكة..وأن هذا الإنسان في صراع دائم مع الحياة...ولم ينله منها غير الفتات...

وفي قصته (الرقص تحت المطر)..والتي يقول فيها:

"في محل لبيع المفروشات وقطع الديكور المنزلي، وقع بصرها على اللوحة. رأت مطرا أسود يسقط على المدينة.

اتضح أنه في الحقيقة رجال بنفس السمت، ونفس القبعة والمعطف الأسودين تهمي بهم السماء.

ارتجف جسدها من الانفعال.. ودت لو تتعرض للمطر الجميل، وتضع دستة رجال في الجيب. كلما تنمر أحدهم تضربه بالآخر..لو يسقط واحد

على الأقل في يدها تنهي به زمن العنوسة الذي طال، وتفرح بأيامها المقبلة"...

في هذا المقطع نجد الكاتب حسن البقالي وظف تناصين من خلالهما نستحضر نصوصا غائبة.. فالعنوان (الرقص تحت المطر) يجعلنا نستحضر الفيلم الاستعراضي الأمريكيsingin'in the rain ،(نغني تحت المطر) للمخرج : ستانلي دونن، وجين كيلي.. والذي ظهر في 1952....ويتضمن كليب هذه الأغنية الشهيرة، والتي تبين البطل جين كيلي يؤدي رقصاته وغناءه تحت المطر...

كما أن اللوحة التي رأتها الشخصية بمحل بيع المفروشات ، وقطع الديكور المنزلي، والتي تشخص رجالا بمعاطف وقبعات سوداء يسقطون كالمطر من السماء هي للفنان التشكيلي البلجيكي السوريالي رينيه ماجريت، المزداد في 1898، والمتوفى في 1967، والذي يعمد في لوحاته إلى الجنوح نحو تغيير علاقة الإنسان بالواقع وإلغاء الثوابت المسبقة في تلقي العمل الفني، أو المشهد الواقعي بتحويله إلى واقع سحري...

ولذا ثم توظيف هذه اللوحة في القصة ليربط الكاتب بين الواقع والخيال/ الحلم...وليبين مدى الحرمان العاطفي الذي تعانيه هذه المرأة... ومدى الصراع النفسي الذي تسببه لها عنوستها..ولذا مجرد رؤيتها لهذه اللوحة جعل عقلها الباطن يتمنى لو يصبح هذا الوهم حقيقة.. وتسقط السماء فعلا رجالا لتفوز بواحد منهم...

كما أن قصته (الشبيه)ن والتي يقول فيها :**"كان الرئيس على أهبة إلقاء خطابه السنوي عبر القنوات الوطنية، حين اكتشف أنه فقد صوته...**

رأى الأطباء أنه عارض صحي عابر، وأفتى المستشارون بجاهزية الشبيه لإلقاء الخطاب..

- طبعا إذا وافقت فخامتكم...

ألقى الشبيه- الذي كان في السابق مهرجا – الخطاب بنجاح باهر، هنأه عليه كل رجالات القصر...الملاحظة الوحيدة التي لفتت انتباه الشعب، بصرف النظر عن الإضاءة التي بدت خافتة بشكل واضح، هي الدرجة العالية من الصدق الذي كان ينضح من الكلمات والذي لم يعهدوه في خطابات سابقة"...

هذه القصة ، عندما نقرأها، تجعلنا نستحضر فيلم(الديكتاتور) لشارلي شابلين، والشريط الأمريكي(رئيس ليوم واحد)، والذي اقتبسه المسرح المصري تحت عنوان(الزعيم) من بطولة عادل إمام...

ومن خلال هذا التضمين التناصي، نستشف موقف حسن البقالي من السياسة التي تجعل السياسي يلبس قناعا لكل موقف ، وبالتالي تصبح السياسة فن لباس الأقنعة..إنها حفلات تنكرية.. من خلالها يمد السياسي بالمسكنات للمواطن.. ولذا (الشبيه) كان صادقا في خطابه، لأنه لم يكن يوما رئيسا ، ولا سياسيا...

4- استحضار الشخصيات التاريخية:قام حسن البقالي في بعض قصصه القصيرة جدا، بتوظيف بعض الشخصيات، التي جعلت من قصصه وثائق مهمة...وكتابة تسجيلية...

صحيح أن القصة، حين **"تومئ إلى ما يقع خارجها من نصوص وأحداث ومرويات، فإنها تفتح ميراثا وجدانيا، ومعرفيا مشتركا**

بين(...)(المبدع) والجمهور.. وتوقظ الذاكرة الوجدانية والجمالية للمتلقي ليبدأ نشاطه في استقبال (القصة) والتماهي معها"[18]..

إن توظيف هذه الشخصيات جعل منها إشارات ليعبر من خلالها الكاتب عن تصوره للإنسانية والحياة...

ففي قصته (شعرة الرشيد)، والتي يقول فيها:" **هكذا تنقل الحكايات الشعبية عن هارون الرشيد صورة الخليفة الذي يسري في ليل بغداد مع وزير وسياف، في هيأة تنكرية. يخالطون الناس ويعيشون وضعيات بالغة الطرافة"...**

وكذلك في قصته(سقوط)، والتي يقول فيها:"**في ذلك اليوم توفي شاعر مغربي...كنت أقرا رواية عن القمع والتقتيل تحت الحكم الحديدي لواحد من أكبر الطغاة في تاريخ روسيا الحديثة"..**

ففي هاتين القصتين نجد الكاتب حسن البقالي يستحضر شخصيات ، ليجعل من سيرتها، وتاريخها عبرة يستند إليها في سياقه العام...فهو ينقلها من زمنيتها الماضية إلى زمنية الحاضر... الشيء الذي يجعل من قصتيه مادة معرفية، ينعكس من خلالها الإنجاز الإنساني في صورة حركية لا تقدس القديم بشخصياته وأحداثه، بقدر ما تتفاعل معه وفق رؤية معاصرة، تعمل على إنتاج دلالات جديدة.. ترتبط بروح العصر.. ومن هذه الشخصيات التاريخية نجد الأنموذج التاريخي[19]..

---

[18] - د. تمر موسى، (ابراهيم)، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر،المجلد 33، العدد2، أكتوبر/ ديسمبر، 2004، الكويت، ص: 117

[19] - د. عشري زايد،(علي)،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت)، ص: 132

وهو في قصته (شعرة الرشيد): هارون الرشيد، ووزيره جعفر البرمكي، وسيافه مسرور...وفي قصته (سقوط)، القبضة الحديدية ، هو ستالين.

وقد شكل حضور هذه الشخصيات في الخطاب السردي عند حسن البقالي ، أبعادا دلالية مهمة، استحضر منها الواقع الراهن، واستكناه أبعاده لخلق حالة فكرية أو نفسية جديدة، تعمل على تعميق دلالات النص القصصي، والانطلاق بها إلى آفاق إنسانية واسعة.

5- الإيقاع: إن عالم حسن البقالي القصصي مشحون بالقلق الإنساني الراهن..أمام صدمة المتغيرات، وقسوة الواقع، وإيقاع الحياة الجديدة...

ومظاهر السرد عنده تتم من خلال ثلاثة عناصر، هي : الإيقاع، والسخرية، والشخصية القصصية...

والإيقاع لا يقوم على التكرار، والتشابه، والتناظر فحسب.. بل قد يقوم على التباين والمفارقة والتناقض.. كما يقوم على الحذف والإثبات، أو الإضمار والإظهار، والسلوك المنحرف.

وقد تجسده ردات الفعل المتشابهة، والمعاملة بالمثل، والحركة المكافئة، والموقف النظير، وأشياء أخرى...

والإيقاع عنصر فني تتشكله الحركة السردية بكامل تفصيلاتها بدءا من اختيار العناوين،وانتهاء بأصغر جزئية تتغلغل في ثنايا السرد، مرورا بالشخصية والحدث، والحبكة، والحوار والحركة.

وعندما نقف إلى قصته(طفل من زماننا)، والتي يقول فيها:

"كان الوقت متأخرا حيث جعل الطفل يربت كتف أمه:

- نامي يا أمي.. فهناك وحش بالجوار لا يحب النساء مفتحات الأعين.. نامي"...

حتى إذا أحس بأنفاسها قد انتظمت، تسلل على أصابع قدميه خارجا إلى الغرفة الأخرى...أشعل التلفزيون، واقتعد الأريكة المواجهة لالتماعات الشاشة، في اليد جهاز التحكم وفي العين ظلال رغبة مكتنزة"...

فهذه القصة، استجمعت وهي الحذف الزمني، والوقفة الوصفية، والمشهد الدرامي، والسرد الموجز...

وحسن البقالي اعتمد فيها بدرجة أولى الحذف الزمني، إذ تجاوز أحداثا كثيرة، واختصر تفصيلات بل قفز عليها لأنه لا يريد أن يثقل بها سرده، إذ لا نعرف ماذا يحدث عندما تستيقظ أمه وتجده يشاهد القنوات الإباحية...

وفي قصته (باكرا يأتي الليل أحيانا)، والتي يقول فيها:

"ازداد قبل ساعات..دبقا وحارا ومزدانا بالغموض، دلته القابلة من رجليه وقالت ضاحكة:

- سيكون لاعبا شهيرا، يغازل الكرة ويفتك بالعذارى...

أما أمه التي ....فلم تكن واهمة بشأن المستقبل...

هو الآن في مواجهة ليل بهيم.. مرمي قرب صفائح الزبالة، وقط أسود شرس يحوم حواليه"...

فهذه القصة توفرت على أشكال الإيقاع.. حيث نجد فيها الحذف. والمتمثل في(أما أمه التي...) بعد اسم الموصول يسكت السارد عن

الحكي...ويعوض صمته بالنقط الأربع المتوالية... كما أن النهاية مفتوحة ن قابلة للتأويل ما دام هناك سؤال يطرح: (وماذا بعد؟..).

وعندما نتمعن في جمل هذه القصة، نجدها جملا قصيرة(ازداد قبل ساعات)، حيث تتكون من (فعل+ فاعل ضمير مستتر+ظرف زمان+ مضاف إليه)... كما أن توالي الأفعال ، سرع من حركية السرد.. وحدثها.. فتضمنت (ثمانية أفعال تنوعت زمنيا ، مابين الماضي والحاضر)... وهذا ساهم في تسريع وتيرة السرد، وحقق بذلك إيقاعية النص القصصي...

6- صورة الشعر/القصيدة: لقد حاول حسن البقالي في بعض قصصه الخروج عن الشكلية المعهودة في الكتابة السردية.. وخرق قانونها.. وذلك محاولة منه إعطاء زخم جديد لكتابته... وأيضا تجنب الرتابة التي تنتج عن الاسترسال السردي..لذا عمد إلى شكلية القصيدة الحداثية، وهندستها.. وحاول تطبيقها في بعض قصصه القصيرة جدا...

ففي قصته (حقول الممكن)، نقرأ التالي:

"في الحب يغدو كل شيء ممكنا...

كأن تصيري ساقية وأصير سمكة..

أو تصيري حب رمان وأكون ديكا...

أو تكوني سهما وأكون تفاحة...

في الحلم يغدو كل شيء ممكنا ن حتى الحب..."

ففي هذه القصة، اتخذت الكتابة شكل القصيدة النثيرة.. واعتمدت نظام الأسطر الشعرية... وبذلك انمحت الحواجز والحدود ما بين النثر والشعر..

كما اعتمدت هذه القصة بعض ميكانيزمات الشعر والقصيد.. كالتكثيف، والحذف، والصورة الشعرية، والتكرار...

وهذا نجده حتى في قصة (أمومة) ، والتي يقول فيها:

"كان حلم الطفلة أن تكون أما لقطة صغيرة منمقة بالأبيض والوردي...

تسميها وردة..

وتطعمها...

وتلاعبها...

وبين الحين والآخر تقول لها:

الحسي قدمي...

إن تحتها الجنة"...

كذلك اعتمد فيها شكل القصيدة الحداثية.. وهذا متعمد من الكاتب لأنه خرق بذلك رتابة الشكل الكلاسيكي للقصة العربية.. وكسر به أيضا رتابة السرد ، وخطيته...

7- المسرحةDramatisation: في مجموعته القصصية(الرقص تحت المطر)ن نستشف حسن البقالي المجدد، والتجريبي...وهو عاشق

للتجريب ، والجديد، ويتجلى ذلك في اعتماده طرقا متعددة في كتابته السردية...ومن هذه الطرق المعتمدة: مسرحة قصصه...

والمسرحة ، هي تقنية تحويل نص إلى خطاب مسرحي ن عمل بدلالات كثيفة تنفتح على مجالات أبعد من حدود السرد المكتوب[20]...

وهذه المسرحة ارتقت بدرامية النص القصصي، وخصبت علاماته الدلالية.. وتحول من خطاب سردي إلى خطاب درامي ، تداولي بصري، يمكن أن يحقق المشهدية (التشخيص)..

يقول في قصته (لقاء2):" **في بهو المصحة التقى طفل وطفلة:**

- هل أبوك مريض أيضا؟.

- لا...

أبي مريض جدا وأعمامي يستعجلون موته كي يرثوه...

- هل هو غني؟..

غني جدا لكنه مريض جدا، وسيموت.

- أبي لم يكن غنيا ومات...

- وفيم وجودك هنا؟..

- أزور أمي وألعب في البهو...

---

[20] - مكسي،(محمد)، وآخرون،القراءة المنهجية للمؤلفات المسرحية بالتعليم الثانوي الإعدادي،طوب إيديسون، ط1، 2006، ص:18

- أمك مريضة؟...

- أمي منظفة...هي التي تمسح خراء أبيك..."

في هذه القصة التي رأيناه من قبل، نجد حسن البقالي ، يعتمد الحوار، والديالوغ في عرض حدث القصة.. وبذلك أخذت شكل مسرحية صغيرة يمكن تشخيصها، وتحويلها من ملفوظ مكتوب إلى كتابة سينوغرافية، ومسرحية تلعب فوق الركح...

وهذا أعطى للقصة بعدها الفني والجمالي، وأخرجها من رتابة السرد، والوصف....

<u>- التقديم والتأخير:</u>

تتميز قصص المجموعة (الرقص تحت المطر) باشتمالها على تقنية جمالية ، بلاغية وأسلوبية، وهي التقديم والتأخير.

وقد اعتمد الأديب حسن البقالي هذه التقنية البلاغية لأسباب ،من خلالها غير في ترتيب الجملة الموظفة في قصصه... ومن بين هذه الأسباب، نجد أهمها: هو محاولة شد انتباه المتلقي إلى الأمر الخطير والهام، الذي تتضمنه القصة .. ويضخم من حجمها ، معتمدا على مبدإ التضخيم والتهويل... ملفتا انتباهه إلى الوقوف عند الفكرة المتضمنة، والغوص ما وراء سطور القصة لاستجلاء المضمون الهام الذي يريد إبلاغه إليه.. ولذا عمد في تقديمه للمتلقي على التقديم والتأخير...

ونرى هذا جليا في قصته (أنا فريديريش ماور أريد...) والتي مارس فيها الحذف أولا، ثم التقديم والتأخير ثانية...

وعندما نتمعن هذه القصة ، نجدها تفتتح بجملة فعلية(فتح الباب فبادره القادم من بعيد)..هذه الجملة الفعلية توقفنا على مشهد من خلالها نتبين طارقا يسأل صاحب الدار هل هو المسمى فريديريش ماور.. والذي نشر إعلانا على النت...

ولو حاولنا التمحيص في هذه الافتتاحية ، نجد أنها قد اختصرت كلاما كثيرا.. ووصفا سرديا ، لو أثبته حسن البقالي لاعتبر حشوا، وإطالة زائدة...

ماذا يحدث بعد هذا السؤال؟...

فيديريش ماور يدخل هذا الطارق، يوثقه ، ثم يبدأ في التهام لحمه... والغريب أن الطارق لم يحتج ولم يصرخ، ولم يبد ألما... بل كان ينظر إلى موثقه بود، وامتنان... كأنه يشكره على تعذيبه ، وتقتيله له... وهنا ينبهنا الكاتب بطريقة ضمنية إلى ظاهرة التقتيل الجماعي، وحب الموت،والعذاب، والتعذيب... وهو موقف تتجلى في الماشوسية والسادية...

كما نستشف من خلال القصة ، أن الكاتب ينبهنا إلى أمر عظيم وخطير في نفس الوقت.. مس الإنسانية جمعاء.. وهي عملية التقتيل الجماعي، التي يتم من خلالها قتل آلاف الأبرياء.. والذين يعرفون أنهم معرضون إلى الموت ورغم ذلك يقبلون عليه...

ويمكن التذكير هنا ب(جيم جونز) الذي قاد أكبر عملية انتحار جماعي بمعبد الشعوب، بجونز طاون في 18 نوفمبر 1978... والهجوم على مترو الأنفاق زارينوف بطوكيو من طرف طائفة أوم شينريكيو، بواسطة

الغازات السامة... ومذبحة دير القاسم بفلسطين، وصبرا وشاتيلا... وغيرها... من المذابح التي راح ضحيتها مئات الأبياء...

وهذه القصة (أنا فريديرش ماور أريد...)، قد انبنت على التقديم والتأخير.. فنهايتها أصبحت هي مقدمتها، ومقدمتها أصبحت نهايتها... وهذا أعطى للقصة بعدها الفني والجمالي... ودفع بالمتلقي إلى محاولة إعادة ترتيب القصة.

لكن لم قام حسن البقالي بهذا التقديم والتأخير والتغيير في ترتيب القصة؟..

لو كتب القصة كما كان يجب أن تكون.. لأصبحت القصة عبارة عن سرد عاد يتضمن خبا... أو تحولت إلى قصة تسجيلية، أو قصة وثيقة (وثائقية)...

ولكنه عمد إلى هذه التقنية ليزيد من بريقها، ويقوي من توهجها.. وينبه إلى أن العالم المعاصر يقوم على التناقض، والمواقف الغريبة والساخرة... وأن الرغبة أحيانا تذهب بصاحبها إلى حتفه وهو يدري ذلك...

وفي قصته (توهان)، نجده أسسها على تقنيتي الحذف والتقديم والتأخير.. وهذا ما جعل القصة تمتاز ببريقها ، وجماليتها وفنيتها...

كيف كانت القصة في الأصل؟...

القصة كانت في مخيال الكاتب على هذا الشكل – ونستسمح الكاتب سي حسن البقالي في هذا التصرف- **(بضع نحلات ضيعت لغة الجهات..**

وظلت تحوم في البراري، لأن مصنع الكيماويات ألهب نومها بالكوابيس وضيع كل الحواس)...

ولكن قدمها على الشكل الذي أمامنا بالمجموعة.. وبالتالي أصبحت البداية نهاية، والنهاية بداية... لينبهنا كمتلقين إلى أمر خطير طبع الحياة المعاصرة.. وهو هذا التصحر الإسمنتي الذي غزا الأرض... وبالتالي تكاثر العمران، وازدياد النمو الديمغرافي، والتطور العلمي.. ينتج عنه تطور التصنيع...ومن ثمة تلوث البيئة، وانحسار المجال الطبيعي، وانقراض البراري والمروج.. هذا ينتج عنه اختلال طبيعي ، وحيواني وبيئي.. فالنحل الذي كان يتجول بحثا عن الأزهار ليمتص رحيقها ، لم يعد يجد شيئا..كما أن تلوث الهواء والماء والتربة، وما تطرحه المصانع من سموم، وغازات، وكيماويات جعل النحلة تعيش محنة كبيرة، أكثرت من كوابيسها،وتوترها...وهذا سبب لها خللا في جهازها العصبي، فأتلفت الجهات والمكان...وبالتالي لم تعد قادرة على إنتاج العسل..وأصبحت مهددة بالانقراض لانحسار دورها البيولوجي...

- الرمز:

نجد الكاتب حسن البقالي يعتمد الرمز في كتابته القصصية .. ففي قصته القصيرة جدا (نجدة) والتي يقول فيها:

"الشمس ساطعة بقوة، وجسد الماء بض خصيب.. نسيت أني لا أحسن العوم، فارتميت ..

ابتدأت تشنجات الجسد والحركات الفاضحة للهلع الذي حل.. واحتلني ندم طارئ على أشياء كثيرة فعلتها وأخرى كان علي فعلها.. وفي لحظة

خلتها الأخيرة.. بدا أن الشمس تودعني بغمزة ساخرة... لكن الفاتنة التي كانت في الماء...ألقمت يدي نهديها فطفوت"...

نجد الكاتب في هذه القصة والتي تبين صورتها السطحية عن مشهد عادي..نألفه بشواطئنا وأنهارنا وبحيراتنا المغربية... وهو الإقبال على العوم والاستمتاع بالماء ، وتعرض المقبل على العوم للغرق...

لكن الكاتب لا يريد هذه الصورة السطحية.. بل يريد عميقها... إنه لتجربته الحياتية، وتمعنه في هذه الدنيا وما تحب لبه من تناقضات.. يجد أن الإنسان المعاصر في صراع دائم مع الحياة.. أحيانا تقهره محنها. فيغرق أو يكاد يغرق.... ولكن أحيانا تلين ن وتعطف في يديه.. فيطفو ، وفي طفوه يتمتع بالحياة الدنيا الفاتنة...

هكذا هي الحياة، ولذا نجده يرمز في هذه القصة للإنسان وشقائه، بهذا البطل الذي وقف أمام الماء وبه رغبة في خوض غماره... والانتعاش به.. ورمز للدنيا بالبحر أو النهر أو البحيرة(الماء).. وللسعادة وفتنتها وملاذها بالمرأة ومفاتنها .. ورمز للحياة والسعادة بالطفو والتمسك بنهد الدنيا (المرأة)..رمز لحبه لهذه الدنيا وتعلقه بها.. وبفتنتها...

وفي قصته (حجرة نوم)، والتي يقول فيها:**"سقطت في يدي تفاحة ن فشطرتها نصفين: واحد أبيض والآخر أسود.. ثم انحشرت بينهما ونمت...**

منذ مئات السنين وأنا نائم.. بين الشخير والشخير أفتح عينا واحدة أرقب إزهار حقول الآخرين، وأنتظر من يوقظني..ني...نيني..".

في هذه القصة القصيرة جدا، يمكن أن نتبين الرمزية الموظفة فيها.. إن الأرض كروية الشكل تقريبا(إهليجية).. الجهة المقابلة للشمس تكون في

حالة إضاءة(نهار)...والجهة الخلفية تكون في حالة إظلام (ليل)... ولذا نجد الكاتب يرمز إلى الأرض بالتفاحة، ويرمز إلى النهار بالنصف الأبيض ، وإلى الليل بالنصف الأسود...فالأرض خاضعة لزمان دقيق، ومحدد.. وهو تعاقب الليل والنهار، وتعاقب الفصول الأربعة.. والكائنات كلها خاضعة لهذا التعاقب، ومتكيفة معه...

وعندما نقف إلى قصته(كلمات)، والتي تقول:"1- **وضعت الكلمة خلف الكلمة وكونت قطارا من الكلمات .. كان قطارا ضاجا بالأصوات فلم يركبه أحد..**

2- وجد نفسه يتنحى جانبا كي يفسح الطريق... الفكرة المارة بدت خطيرة جدا فخشي أن تدهسه.

3- في تلك الليلة .. رأيت نهر اللغة جف من ماء الأبجدية.. فصعقت...

4- أتلفوا العلامات وقالوا: شق طريقك...

.....

ها إني أحث الخطى تدفعني الريح إلى الهاوية"...

في هذه القصة القصيرة جدا.. نجد الكاتب حسن البقالي يوظف فيه أيضا الرمز.. فهو يطرح لنا فكرة ثقافية يعانيها الكتاب اليوم.. وتتعلق بعالمهم الإبداعي وعلاقتهم بالمتلقي... إنها تتضمن سؤالا: لم نكتب؟ ولمن نكتب؟.. ومن يقرأ ما نكتب؟..

إنه ينبهنا إلى أمر خطير، ومعضلة ثقافية أصبحت تهدد اليوم الإبداع.. وتضعه في مفترق الطرق.. منبها وبشدة إلى أزمة التلقي، والقراءة التي أصبحت ميزة العصر...

إن الكتابة تجربة ومغامرة محفوفة بالمخاطر... لا توصل إلا إلى الهاوية.. ولذا الكاتب أمام هذا الموضوع الخطر، التجأ إلى الرمز ليكون أكثر تأثيرا، وأكثر فاعلية مما لو كانت كتبت كتابة مباشرة...

فنجده يرمز للكتابة/ الجملة بالقطار، والحاملة للفكرة والموضوع والمعنى... ولقوتها ووهجها يرمز إلى ذلك بالضجيج والصخب والصوت... ولكن لا أحد يقرأ ذلك.. ولا نقد يساير هذه الكتابة.. ويقيمها...

وأمام تجاهل المتلقي ، يلجأ الكاتب إلى الصمت والتوقف قليلا.. لكن هوس الإبداع يدفعه إلى استئناف الكتابة... لكن الذي يصدمه هو انه يرى كتابات بدأت تستشري محتلة مواقع مهمة .. خالية من أي إبداع ، ومن أي فكر ... وقد رمز إلى ذلك بنهر اللغة ، وجفافه.. ونضوبه من ماء الأبجدية... وهذا ما أضفى على القصة بعض الجمالية، والدلالة التي لا تخلو من فنية...

المحتوى

- مدخل 4
- القصة القصيرة جدا عند.....8
- القصة القصيرة جدا عند.....51
- القصة القصيرة جدا عند.....84